

روایات عبیر



فلورا کید

# لا تقوي لا



## لا تقولي لا

ليس خاتم الزواج بداية ولا نهاية، بل اشارة الى بدء مرحلة جديدة من مراحل الحياة. والمفروض ان يسقط الرجل كل مغامراته السابقة وان تنسى المرأة احلامها المفقودة، كي يبدأ الشريك رحلة الحياة المنسجمة في وضوح وحب يكبر يوماً بعد يوم... الا ان غلطة صغيرة وقعت... سوء تفاهم تافه... مما ادى الى انفصال ديانا عن جايسون، وعندما شاءت الظروف ان يلتقيا من جديد، وجد الاثنان صعوبات كبيرة في التغلب على الماضي. فوحده الحب يستطيع ان يتغذها... لكن هل يجبران بعضها بعضاً أم هناك قصة حب اخرى لدى كل منهما تمنع عودتهما الى الحياة الزوجية؟

السودان ٨٠٠ م	اليمن ٨ ر	الكويت ٧٠٠ ف	لبنان ٧٠٠ ر
U.K. £ 1	تونس ١ د	الإمارات ٩ د	مشورية ٨٠٠ م
France F 10	ليبيا ٧٠٠ د	البحرين ٩٠٠ ف	الأردن ٥٠٠ ف
Greece Drs 120	القرب ٨ د	قطر ٩ ر	العراق ٥٠٠ ف
Cyprus P 1	مصر ٨٠٠ م	عمان ٩٠٠ م	السعودية ٨ ر



## ١ - السحابة والبركان

كان الفندق كبيراً، حديثاً وانيقاً، ويقع على الطريق التي تصل المطار بقلب المدينة، وهو مؤلف من بنائتين متلاصقتين: الاولى من خمسة طوابق، والثانية من ثلاثة طوابق. واجمل الغرف هي التي تطل على المدينة، حيث المنظر رائع جداً، اذ تقع المدينة وسط الوادي الذي تحيط به سلسلة من الجبال الشاهقة.

من نافذة غرفتها، وقفت ديانا كلارك تستعرض المناظر الجميلة، تدهشها الاضواء المتلألئة التي تضيئ بريقها على كيتو عاصمة الاكوادور. غابت الشمس كالعادة في الساعة السادسة والرابع. وفي لحظة واحدة، ارتدت قمم الجبال الواناً مختلفة مبروراً بالاخضر والوردي ثم الاحمر الداكن.

وفجأة انطفأت انوار المدينة وظهرت في الفضاء غيمة، بدت شاحبة شفافة، من التلة التي يقوم عليها الفندق.

خيل الى ديانا في تلك اللحظة انها انتقلت الى عالم ساحر خلأب. كأنها على قمة برج تابع لأحد القصور التي تتحدث عنها الاساطير، وهي تحلق في السحب. رفعت عينيها ورأت شمس المغيب تضيء القمم الثلجية فوق بركان منتصب تحت سماء مرسعة بالنجوم، وقالت ديانا لنفسها حاملة:

«هنا، يستتب الأمر من الآن فصاعداً، سأكون انسانة سعيدة»



ما لبث البركان ان غرق في الظلمة وذاب في العتمة. وتبعثرت الغيمة قبل ان تختفي. ولاحظت ديانا ان غرفتها غارقة في العتمة. تنفست الصعدا' وغادرت الشرفة ودخلت الى غرفتها واشعلت النور. وفي الحال تلوت الغرفة الفاخرة باللون الوردي. اضأت ديانا المصباح الكهربائي قرب السرير، ونظرت الى المرأة. شاهدت امرأة شابة، ممشوقة، ونحيفة، لها شعر كستنائي ذو بريق ذهبي، وجهها بارز ذو تقاطيع ناعمة ووجنتين نافرتين، وعينين عنبريتين، تعكسان بعض الحجل، وشفتين ناعمتين ممتلئتين تظهران حرارتها وسخاها. وبالفعل فان الذين يتعرفون الى ديانا كلارك للمرة الاولى يدهشهم هذا المزيج الغريب في شخصيتها حيث الحجل والرغبة متفان بانسجام.

وصلت ديانا الى كيتو منذ ستة ايام، مع والدها، كريستوفر فارلي، المدير العام للشركة النفطية التي تصنع الآليات لبناء أبراج الحفر والتنقيب. وقد سبق لها وقاما معاً بزيارة لعدة بلدان في اميركا الجنوبية. وهما الآن في الاكوادور يلبيان دعوة السينيور سانشو سواريز الذي يملك اسهماً كثيرة في احدى ناقلات البترول العالمية التي تقوم بالتنقيب عن البترول في البلاد.

راقت ديانا والدها رغبة منها بالتغيير. كانت مضطرة الى اتخاذ قرار مهم يتعلق بزواجها. وشعرت بحاجة الى ان تبعد عن جو البيت في لندن كي تكتشف حقيقة عواطفها تجاه جايسون كلارك زوجها الذي افترقت عنه.

جلست امام مكتب صغير وراحت تبحث في جواريره عن ورق لتكتب رسالة الى عمتها. كان والدها يقوم بجولة استكشاف في الادغال، حيث أبار النفط وهي تنتظره لكنه تأخر اكثر من أربع

ساعات، فراحت تكتب الى عمتها جرتود، لعل الكتابة تخفف من القلق الذي يكاد يخنفها من جراً تأخر والدها. اخبرتها كل ما جرى لها منذ وصولها الى كيتو، قبل اسبوع. لقد احبت المدينة التي تبدو في ربيع دائم بسبب مناخها المعتدل برغم موقعها العالي.

الاحياء القديمة، والشوارع الضيقة والشرفات المعلقة، تحمل الطابع الاسباني. فالبيوت مؤلفة من طابقين، جدرانها مطلية بالكلس الابيض وسقوفها من القرميد المخضر بمرور الزمن. تلتصق على بعضها البعض على جهتي الطرقات الصغيرة المنحدرة. وفي ساحة الاستقلال، ما زالت الكاتدرائية وقصر الحكومة يحملان آثار الثورة. لكن المرتفعات المزهرة والاشجار الملتهفة، كلها تدعو الى الزهات والى التسكع.

وبرفقة ماريانا، زوجة سانشو سواريز الرائعة، ورامون، ابنها البالغ من العمر تسعة عشر عاماً، زارت ديانا مبنى خط الاستواء، الذي يبعد بعض الكيلومترات عن العاصمة كيتو. هناك تصورت ديانا، جزءاً منها في نصف كرة الارض الشمالي والجزء الثاني في النصف الآخر الجنوبي. كما زارت معها الكومبانا، كنيسة كيتو المشهورة. كان الدليل عجوزاً هندياً ذا وجه داكن وبارد يحمل شمعة مزخرفة. وعندما شاهدت ديانا الكنيسة في الداخل اصابتها الدهشة: التماثيل والمنبر والكرسي واطارات اللوحات، كل شيء، حتى السقوف العالية، تبدو كأنها مطلية بالذهب السائل...

وضعت ديانا يديها لحظة على المكتب تدعك اصابعها لتشطها. لم تكن تضع في اصابعها سوى خاتم ضخم من الذهب الثقيل. وعادت الكتابة، واذا بها تسمع نفرة خفيفة على الباب. التفتت بانتهاء واصغاء، سمعت طريقة من جديد، لا يمكن ان يكون الطارق



والدها، لأنه عادة يعلن عن قدومه بعزم وقوة، ولأنه يدخل غرفته، ثم يدخل غرفتها من باب الاتصال الذي يصل الغرفتين.

نهضت ديانا ببطء وتوجهت نحو الباب. صحيح إنها معجبة باهالي الاكوادور لكنها ليست مستعدة لأن تفتح الباب لانسان مجهول. اذا كان الزائر واحدا من معارفها، لأبلغوها عن ذلك في مكتب الاستقبال.

سمعت ديانا طرقة ثالثة عندما كانت يدها ما زالت على مسكة الباب. ففتحت ببطء وكان الطارق فيليكس اصغر حجاب الفندق. فقال بتهذيب وبلغته الاسبانية:

«مساء الخير، سيدة كلارك».

«مساء الخير، فيليكس».

كانت تود ألا يتابع حديثه باللغة الاسبانية، كي تستطيع ان تفهمه. ويبدو انه ادرك ما يدور في ذهنها، تابع فيليكس حديثه بلغة انكليزية مترددة التقطها من السواح الاميركيين:

«في قاعة الاستقبال شخص يريد ان يراك».

«ما اسمه؟»

«لم يقل اسمه بل سأل مكتب الاستقبال عن رقم غرفتك. لكن الموظف هناك رفض ان يعطيه الرقم الا اذا عرّف الشخص عن حاله. لكنه اصرألا يعطي اسمه. ولما رأني طلب مني ان اطلب منك موافاته في المقهى وانه سيدفع لي بعض المال اذا قمت بذلك. هل ستأتين يا سيدتي؟ ارجوك ان تأتي حتى يدفع لي المال».

احتى رأسه متوسلاً. ترددت ديانا. هل من الحكمة ان تذهب لرؤية هذا الرجل الذي رفض الموظف ان يده الى غرفتها؟

توسل اليها فيليكس:

«اذا لم تأت، سيدتي، سيغضب عليّ هذا الرجل. ولا احب ان اكون عندما يغضب. فهو طويل القامة وقوي. ارجوك يا سيدتي، ان تذهبي اليه».

اجابته مبتسمة:

«اني آتية، انتظرنى»

تألق وجه ديانا وراح فيليكس يبتسم مظهراً اسنانه العريضة البيضاء.

اخذت ديانا حقيبة يدها وتأكدت من وجود مفاتيح الغرفة داخلها. ولم تنس ان تلقي نظرة الى المرأة لتتأكد من ان فستانها الأخضر لا عيب فيه. ثم خرجت واقفلت الباب وراءها وتبعها فيليكس حتى المصعد.

كان المقهى مضاء بنور خافت. ومع ذلك كان في وسعها ان تلاحظ الوجوه وراء الطاولات الصغيرة المستديرة، القائمة حول منصة، حيث مجموعة من الموسيقيين يعزفون الموسيقى الاميركية - اللاتينية.

سلك فيليكس ممراً يؤدي الى مؤخرة القاعة وتبعته ديانا. وكادت ان تختنق لدى رؤيتها ظهر الرجل، له كتفان عريضان وشعر قصير. توقفت جامدة وراح قلبها يخفق بسرعة كأنما تركض مسافة طويلة.

لا يمكن ان يكون هذا جايسون؟ ربما واحد يشبهه...

كان فيليكس يشرح له بسرعة ماداً يده نحوه فالتفت الرجل، ورأت ديانا ملامحه وشعرت بحدة عينيه الزرقاوين.

واذا بجايسون يضع يده في جيبه ويخرج قبضة مليئة بالنقود ويضعها في يد فيليكس المسدودة نحسوه. شكره فيليكس وانصرف.

كان الرجل يدير ظهره وكأنه غير مبالي انها انضمت اليه. غالباً ما



كانت تتخيل هذا اللقاء مع زوجها جايسون، الذي افترق عنها منذ سنة تقريباً، تاركاً شقتها في لندن، متهاً ايهاا بعدم ثقتها به. لكنها لم تتصور ابداً ولو في الاحلام انها ستلتقيه في بلد آخر، وفي قارة اخرى، وفي هذه المدينة الساحرة بالذات.

كانت قدماها ترتجفان، وهي تسأله في صوت مبجوح:

«ماذا تفعل هنا؟»

وضع كأسه الفارغة ورفع عينيه ببطء نحوها وابتسم قائلاً:

«اني انتظرك، لماذا لا تجلسين؟»

سقطت ديانا في الكرسي وقالت:

«انت آخر انسان انتظر ان اراه هنا».

«الم يقل لك كريستوفر اني اعمل هنا».

«كلا، فهو لو قال...»

توقفت فجأة عن الكلام. لماذا لم يخبرها والدها بوجود جايسون في

الاكوادور؟ هل كان يخشى ان ترفض مرافقته؟

ادرك جايسون ما يجول في خاطرها فقال:

«لو عرفت لما اتيت معه. عظيم، لقد فهمت».

«كلا، لا... لم أكن اريد ان اقول ذلك لكن، ربما ظن والدي ذلك».

اطلق جايسون ابتسامة ساخرة:

«ما زلت لا تعرفين كيف تتصرفين؟ في كل حال لننسى الامر. ماذا تحبين

ان تشربي؟»

«ماذا تشرب انت؟»

«اشرب عصير الحامض بالنعناع، انه منعش ولذيذ الطعم، ما رأيك

بكأس منه؟»

وجدت ديانا من جديد اهتمامه المألوف وشعرت انها مجردة من اي

حقد عليه. لكنها استدركت الامر، فيجب الا تستسلم لسحرة.

قالت بنبرة هادئة:

«أخذ زجاجة كوكاكولا».

بعد ان جا' المشروب واحتست منه جرعة، سألته وهي تنظر اليه

يشعل سيكارة وهي لم تره يدخن من قبل.

«لماذا تنتظرني؟»

حدق جايسون بها في نظرة غير مباشرة وهمس قائلاً:

«لأطلعك على امر لن يعجبك».

«انه يتعلق بوالدي، اليس كذلك؟ فقد تأخر في العودة، ماذا جرى؟»

ومن جديد، نظر اليها ليتأكد من قدرتها على تحمل الخبر، هل هي

قادرة ان تتحمل صدمة أخرى؟

وسألته بالحاح:

«قل لي، يا جايسون، واعدك ألا اتصرف تصرفاً احمق، لا اغها ولا

نوبة عصبية. ارجوك. لا تجعلني انتظر اكثر».

«تحطمت الطائرة التي كانت تنقل والدك إلى بنو على مدرج المهبوط

وهو الآن جريح. فقد اصيب بكسور في اضلاعه وفي ذراعه اليسرى».

«اين هو الآن؟ يجب ان اذهب اليه حالاً».

انتفضت ديانا وراحت ترتجف بقوة وتحملت والدها الجريح وحيداً

في احد المستشفيات الممتلئة ذباباً ساماً. نهض جايسون واخذها بيده

واعادها الى الكرسي.

«ارجوك ان تتسلحي بالهدوء فوالدك بين ايدي اطباء وممرضين يعتنون

به كل الاعتنا في المستشفى الذي تديره المؤسسة العالمية للصحة. وانا

جئت لأخبرك ما حدث، لأن والدك طلب ان يقوم بهذه المهمة احد أفراد

العائلة».



احد افراد العائلة؛ لقد لفظ هذه العبارة بطريقة تهكمية. نظرت ديانا اليه. كان يحتمي كأسه الثانية. وبدورها احست بالظماً وجرعت كأسها حتى افرغته. وشعرت بالشراب الثلج يרטب حلقها فارتاحت. سألته:

«هل يمكنني ان التحق بوالدي في بونو؟»

كان جايسون ينظر الى الراقصة التي دخلت لتوها الى حلبة الرقص، وهي فتاة جميلة، ذات بشرة سمراء وترتدي فستاناً طويلاً، ابيض اللون، يظهر خطوط جسمها المثير. اجاب جايسون بلهجة غير مبالية:

«اذا كنت تريدن ذلك.»

«متى؟»

عادت عيناه الزرقاوان تحدقان في وجه ديانا وتتأملان شعرها اللامع. شعرت انه غير مبال بما حدث لعمه، فكان يبدو منشغلاً براحته الخاصة. وقال بعد صمت طويل:

«سأخذك اليه غداً، بعد ان انام هذه الليلة، لأنني متعب للغاية.»

راحت ديانا تنظر اليه عن كثب. لقد نحف جسمه عما كان عليه منذ سنة تقريباً. وبشرة جلده لوحتها الشمس كما زادت زرقة عينيه، وشعره الكستنائي يتموج بخصلات ذهبية تشبه الفش الاصفر، وكعادته، كان يرتدي ثيابه باهال: قميص كحلية، وسروال بني فاتح وربطة عنق معقودة بسرعة ومن دون اتقان، وسترة بيضاء ارخاها على مسند المقعد.

قالت ديانا بلطف زائد:

«اشكر لك مجهتك الى هنا.»

شعرت برغبة مفاجئة لأن تلمس بأصابعها يده السمراء، لكنها

سرعان ما عدلت عن ذلك.

هز كتفيه ونادى خادم المطعم الذي اخذ الكأس الفارغة. وفي هذا الوقت كانت المغنية تؤدي اغنية مأساوية بصوتها الرنان.

سألته ديانا وهي تعي جيداً التوتر الشديد الذي حلّ بينهما.

«هل انت في الأكوادور منذ مدة؟»

لم يكن جايسون ذلك الانسان الذي يحب الثروة. كان يعبر عن افكاره واحاسيسه باختصار، واحياناً بشراسة. وكان يرد على الاسئلة باقتضاب.

اجابها ببساطة:

«منذ ان بدأ التنقيب عن النفط.»

«يعني منذ متى؟»

وتكلم جايسون بلهجة فظة فتراجعت الى السور، كما لو كان يصفعها قانلاً:

«أهذا يهمك فعلاً، أو انك تتكلمين فقط على سبيل الحديث؟»

«ان ذلك يهمني. عندما تركتني وذهبت وبقيت من دون اي خبر منك، كتبت اليك، لأنني كنت حريصة على تتبع اخبارك ولأنني كنت في حاجة الى صحبتك.»

لاحظت ارتفاع جبينه استفهاماً، وازدادت استمداً للدفاع عن نفسها:

«انني زوجتك. ولذلك كنت اعتقد ان من واجبي ان اعرف اين كنت وماذا تفعل.»

لم يرد. فقد عاد الخادم حاملاً كأساً ثانية مليئة بعصير الحامض الثلج والمحلّى. دفع له واشعل سيكارة اخرى واحتمى جرعة من شرابه وعاد يحدق بكأسه.



شعرت ديانا بالغضب يجتاحها تدريجياً. انه ما زال يرفض الخوض في اي حديث من هذا النوع، وستضطر الى طرح اسئلة اخرى وهي تعرف جيداً انه يكره ذلك. واخيراً قالت:  
«كنت انتظر جواباً منك على رسالتي وتساءلت مرّات عديدة ما اذا كنت قد تسلمتها».

«نعم، تسلمتها».

«اذن، لماذا لم ترد علي؟»

«هل تريد حقاً معرفة السبب؟»

رفع كأسه وافرغها دفعة واحدة.

اجابت ديانا والغصة في حلقها:

«نعم، ولا شك ان هناك سبباً وجيهاً جعلك تفضل الصمت كل هذه المدة».

كان شيئاً لم يتغير. انه ما زال ذلك الرجل المجهول، الذي احبته أو تخيلت انها احبته، والذي تزوجته والذي قضت معه اياماً حلوة مليئة بالحب المتبادل.

اجاب وهو يقلد طجة ديانا:

«سبب وجيه، نعم، بكل تأكيد، من وجهة نظري انا، على الاقل، لم ارد على الرسالة، لأنني اكره ان اعرف انك ستسامحينني على غلطة ارتكبتها».

في كلمات قليلة، اعاد الزمن الى الوراء. كأنهما من جديد وجهاً لوجه في شقتها اللندنية. فقد تغير الاطار، لكن موقف جايسون ما زال هو اياه وكانت ردة فعل ديانا نفسها ايضاً.

«غلطة لم ترتكبتها؟»

قالت ذلك بصوت عال وكررت العبارة مرّات عديدة، فراح الجميع

ينظرون اليها متسائلين ومتفاجئين. لكنها، خوفاً من ان يعتبر الموجودون ان شيئاً ما حدث ويتقدمون للمساعدة، اقتربت منه وقالت بصوت منخفض:

«انت وقع للغاية. لقد ذهبت الى باريس تلبية لدعوة امرأة. وكنت معها كل الوقت».

سقط في كرسيه وراح يحرق فيها بنظرات ثاقبة وساخرة.

«كيف عرفت انني كنت مدعواً الى باريس. لا اعتقد ان صديقك العزيزة أونيس هي التي اخبرتك ذلك».  
«اني...»

خانتها الكلمات. كانت تعتقد انها قادرة ان تخبره عن الرسالة التي وجدتها في ملابسه، وكانت بتوقيع كارول، لكن، كانت تنقصها الشجاعة. اجابت بحدة ومن دون اقتناع:

«هذا لا يهم. اعرف انك كذبت علي، وانك خدعتني واضعت ثقتي فيك».

اخذ يضحك من اعماقه وقال:

«انت تجهلين كل شيء عن الثقة. كنت كلما جئتك متأخراً يوماً أو يومين، تنهالين علي بالاسئلة، تريدان ان تعرفي اين كنت، وماذا فعلت، ومع اية امرأة كنت...»

«لم اسألك ابداً ذلك. وارجوك ان تخفض من صوتك، فالجميع ينظرون الينا».

«اني لا اهتم لذلك».

اشعل سيكارة اخرى. سألته ديانا:

«لم تكن تدخن عندما عرفتك. ما الذي جعلك تدخن الآن؟»

«كي اجد الشجاعة لأقول كل ما جرى لوالدك».



«لا اعتقد...»

قاطعها بغضب وقال:

«إنها عادت لك إلا تصدقي ما أقول، اليس كذلك؟ لقد صدقت  
أوليس ووثقت بها، لكن، من أجل، لا شيء من هذا، هي، صديقتك  
الحبيبة، أما أنا فلم أكن سوى المسكين الذي أوقعته في حبالك كي  
يتزوجك...»

«لم يحدث ذلك على الإطلاق!»

اجابها بسخرية مرة:

«لا؟»

كانت عيناه المتعبتان تعكسان خيبة الأمل. نهضت ديانا فجأة  
وهستت قائلة:

«لم أعد التحمل ما يحصل.»

وكالعمياء خرجت من المطعم، من دون الانتباه إلى الناس الذين  
ترتطم بهم وهي سائرة. وفي باحة الفندق، تبعت مجموعة من السياح  
الأميريكين ودخلت معهم المصعد الكهربائي. وعندما راحت تقول  
لأحدهم أن يكبس الزر الخامس، لاحظت وجود جايسون معها في  
المصعد. كان ينظر إليها بعينيه الساحرتين.

توقف المصعد في الطابق الخامس وخرجت ديانا متجهة نحو  
غرفتها وكان جايسون يتبعها. فاستدارت صوبه غاضبة وقالت:  
«لماذا لحقت بي؟»

كان ضوء المرح خفيفاً، فبدأ وجه جايسون نحاسياً وشعره كشعلة  
صفراء.

اجابها بهدوء:

«أنت ترغيبين بالذهاب إلى - بونو - وأنا وعدتك بأن آخذك لتزوري

والدك في المستشفى هناك. لذلك اعتقد أنه من حقي أن أتبعك حتى  
غرفتك حيث يمكننا الاستعداد للسفر غداً.»

مشى ديانا نحو غرفتها، فتبعها بخطواته غير المكرثة. ولما  
وصلت أمام باب غرفتها، حاولت ادخال المفتاح في القفل لكنها لم  
تنجح. سحب جايسون يدها وقام مكانها بفتح الباب.

دخلت ديانا ورمت بحقيبة يدها على السرير والتفتت صوب  
جايسون. وشعرت بانفاسه تتقطع. كان قد أقفل الباب وأسند ظهره  
عليه. كان شاحب الوجه، واغمض عينيه من الألم. اقتربت ديانا  
منه وانتشلت من يده مفتاح الغرفة وسألته:

«جايسون، ما بك؟»

رفع حاجبيه وقال:

«أني أشعر بأعيا شديداً، أين غرفة الحمام؟»

«من هنا. من هنا.»

فتحت باب الحمام وانارت الغرفة. فاندفع جايسون إلى هذه  
الغرفة الصغيرة وصفق الباب وراءه.

وجدت ديانا نفسها واقفة أمام النافذة التي تطل على منظر رائع  
للمدينة. كانت بين الضحك والبكاء. لا شك وهي تتحمل عواقب  
المفاجأة، أولاً عند رؤية جايسون وثانياً عندما علمت بحادث  
والدها. وفجأة انقلبت الحياة رأساً على عقب، وهي لا تعرف كيف تعيد  
التوازن إلى مكانه.

ولم تعرف ديانا كم من الوقت مضى وهي أمام النافذة تحلم في  
البقطة. ولم تعد إلى الواقع إلا عند سماعها صوت باب الحمام يفتح.  
وببطء ابتعدت عن النافذة وعادت إلى وسط الغرفة.

كان جايسون شاحب اللون، وشعره منفوش يحمل سترته على



ذراعه. رماها على المقعد القريب منه، وحلّ عقدة ربطة عنقه وخلع قميصه. فوجئت ديانا بتصرفه وشعرت بجفاف في حلقها. وسألته: «هل تشعر بتحسن؟»

قال ويدها تشدان على زرّة زناره:

«ما هذا الاهتمام المفاجئ... هل تذكرت اننا متزوجان؟»

«هل انت بحاجة الى أي شيء؟»

«كلا شكراً. ستتحسن احوالي عندما انام.»

جلس جايسون على السرير، وضع رأسه بين يديه وراح يصرخ من الالم. ثم انحنى ليفك ربطة خذانه ففهمت للحال ما ينوي فعله وقالت:

«جايسون، لا يمكنك ان تقضي الليل هنا.»

«لماذا؟ هل تنتظرين أحداً؟»

إحمر وجه ديانا وأجابت:

«كلا. لكن ماذا سيفكر العاملون في الفندق اذا اكتشفوا انك أمضيت الليلة في غرفتي، من دون ان تسجل اسمك في سجل الفندق؟ انا اعرف ان الموظف في مكتب الاستقبال رفض ان يدعك تصعد الى غرفتي.»

سألتها جايسون:

«هذا كل ما يملك؟»

فجأة راح يتشاءب ويؤرجح قدميه الطويلتين على السرير. وكانت عيناه الزرقاوان الثقيلتان تنفرسان في وجه ديانا.

«في امكانك ان تقولي لم الحقيقة: وصل زوجك بصورة مفاجئة، سيفهمون جيداً، لا تخافي وسوف يسرون ان يقبضوا منك اضعاف المبلغ. اما بالنسبة الى فائتي سعيد ان انام. فالسرير واسع اكثر من

اللزوم ويتسع لنا تماماً.»

تنهد جايسون مطولاً، وادار ظهره ونام.

راحت ديانا تنظر اليه وفي داخلها تتصارع احساسات مختلفة تتراوح بين الغضب والضحك. ما الذي حصل لها الآن. شيء عادي في هذا البلد المجنون. هنا تعتبر الحوادث الغريبة كأنها طبيعية وعادية جداً. وقبل ساعة كانت ديانا تجهل تماماً وجود جايسون في الاكوادور، وهو الآن ينام في السرير نفسه الذي امضت فيه الليالي الست الفائتة وحدها.

ان شكل جسمه المألوف، وطريقة تساقط شعره على جبينه، والابتسامة على فمه وهو نائم، كل هذا ايقظ في داخلها ذكريات كانت تعتبرها دفينّة الى الأبد. اقتربت من السرير ومدت يدها لتزيح عن جبينه خصلة شعره المتسردة. لكن سرعان ما لجمت رغبتها وعادت الى الورا بقوة.

كلا، لن تستسلم بهذه الطريقة. عندما يكون جايسون نائماً، فإنه يبدو ناعماً لكن عليها ان تنسى انه مستمر في الدفاع عن نفسه ضد كل ضعف وذلك بغضنوا صامت وشرس. وليس هذا التعبير العاطفي الملي بالحنان الذي يظهره في نومه سوى تعبير سطحي.

عليها اذن ان تكون اكثر واقعية. قامت بخلع خذانه وجواربه، وفكرت بأن تخلع له سرواله الضيق لينام مرتاحاً. لكنها ادركت ان مثل هذه الحركة ستوقظه.

ولا حظت ان في ظهره أثار جروح تمتد من اسفل اضلاعه الى أعلى ظهره، كما لو ان الجلد انقلع شطرين ثم اعيد لأمه، وهي ما زالت حمراء. لم تكن هذه الجروح هناك قبل سنة. هل اصابه حادث ما؟ لا شك انه تألم وهي لم تعرف بذلك ولم تكن بجانبه لمساعدته والاعتناء به.



وفي تأوه اقتربت من الحزاة. وفي احد الادراج اخذت بطانية هندية  
الصنع، من الصوف الناعم مزينة برسوم هندسية، ووضعتها على  
جسم جايسون، وكما لو انه شعر بحرارة ناعمة، تنهد بعد التي  
واستدار الى جنبه. وتساءلت ديانا، العمل هو الوسيلة الوحيدة للابتعاد  
عن الذكريات. دخلت غرفة الحمام ولاحظت أن جايسون نظف كل  
شيء بعد الحمام. راحت تغسل وجهها وتنظف اسنانها وقشط شعرها. ثم  
عادت الى الغرفة.

كانت الرسالة التي بدأت تكتبها لعمتها جرتروود، ما زالت في  
الكتاب الصغير. جلست وراءه وبسرعة اخبرت عمتها عن الحادث  
الذي تعرض له والدها واخفاقت تقول انها ستوافيها بتفاصيل اخرى  
نما بعد. وضعت الرسالة في مغلف والصفت عليه الطوايح.

لم يبق امام ديانا سوى الاخلاص الى النوم، فتوجهت نحو السرير.  
لكنها شعرت انها غير قادرة ان تنام قربها وبينها امور كثيرة معلقة.  
وما دام هناك عدم ثقة بينها وما دام هو مستمر في الكذب ومصر على  
عدم ادخالها الى عالمه الحميم، الى افكاره واحاسيسه.

ابتعدت عن السرير قبل ان تغير رأيها. ووقع ظهرها على اريكة  
عريضة، فقررت ان تستلقي عليها لتنام هذه الليلة في انتظار ما قد  
يحدث غدا.

لكن هناك مشكلة الاغطية: فقد نام جايسون على غطاء السرير  
وفوقه البطانية الوحيدة الباقية. الحبل الوحيد ان ترتدى مئزرها فوق  
قميص النوم وان تتدثر بمعطفها الصوفي الذي اشترته خصيصا  
لثرتديه في الليالي الباردة.

ادارت الأريكة نحو النافذة تاركة الستائر الثقيلة مفتوحة. اطفأت  
النور وقعدت على المقعد ولما وجدت نفسها غير قادرة على النوم راحت

تحصي النجوم المتلألئة في الفضاء. في محاولة لالهاء نفسها عن التفكير  
بما حدث.

كل شيء هادئ وساكن. فقط صوت تنفس جايسون يعكس  
الصمت داخل الغرفة. كم من مرة بقيت مستيقظة، تسمعه يتنفس  
وتشعر بحرارة جسمه الدافئة.

لكن سرعان ما تبهرت الى خطورة افكارها فأزاحتها وحاولت  
تركيزها على والدها. قال جايسون ان جراحه ليست خطيرة. كما ان  
الاطباء والممرضات يعتنون به داخل المستشفى. وهي عليها ان تثق  
بزوجها كما سبق ووثقت فيه عندما كانا يعيشان حياتهما الحميمة بعد  
الزواج وانطلقت افكارها واختلطت اصواء النجوم امام عينيها.  
وعادت بها الذاكرة الى الوراء، الى لقائهما الاول بجايسون، اي منذ  
سنتين فقط.



## ٢ - مع الذكريات

تعرفت اليه في حفلة عشاء افامها والد ديانا السيد كريستوفر فالي، على شرف شركائه وزبائنه. وكريستوفر يحب استقبال الناس وعند وفاة زوجته اثر حادث اليم، كانت ديانا تقوم بدور ربة المنزل. وكانت في السادسة من عمرها عندما توفيت والدتها. وفي مناسبات كهذه، ويرغم خجلها، كانت الفتاة الشابة تحب ان ترتدي الثياب الانيقة. كانت تدرس تصميم الازياء في كلية الفنون الجميلة في لندن، وكانت قد صممت بنفسها فستاناً جديداً خصيصاً لحفلة العشاء. كان لونه غريباً بلون عينيها. تفصيلاته تظهر خطوط جسمها النحيل وبياض بشرتها، فتبدو اكبر سناً مما هي عليه. كان شعرها ذو اللعنان الذهبي يتساقط حتى كتفيها، مع غرة على جبينها. وضعت حول عنقها سلسلة ذهبية تحمل حلقة من حجر الجاد، وهو حجر كريم، لونه اخضر. ووضعت في اذنيها حلقة من الحجر نفسه. ومن دون ان تعرف كانت تبدو اكيدة من نفسها، متحفظة، مغرية ولكن صعبة المنال.

عند وصولها الى النادي حيث تقام حفلة العشاء، اختفت بضعة دقائق في غرفة الثياب المخصصة للنساء وذلك للتأكد من أناقة ملابسها وتسريحة شعرها. كانت تأمل ان تلتقي صديقتها اونييس فينتون وشقيقتها بول الذي يعمل عند والدها. لكن ديانا لم تراثراً

لصديقتها ذات الشعر الاسود الناعم والوجه اليشوش. خرجت من غرفة الثياب ودخلت القاعة حيث تقام حفلة الاستقبال. كان والدها يتحدث مع رجل طويل القامة في حوال الثلاثين من عمره. وكان شعره الاشقر يلمع تحت الاضواء الكهربائية، وتكاد كتفاه العريضتان ان تمزقا سترته السوداء. وكان وجهه اسمر وخداه مجوفين نحيلين.

ابتسم الرجل عندما اقتربت ديانا، فقال والدها: «ابنتي الحبيبة اعرفك الى جايسون كلارك. انه يعمل في شركة تغطية ويقوم حالياً بابحاث على الساحل الشمالي - الشرقي في انكلترا. كلارك، هذه ابنتي ديانا»

وضع يده في يدها النحيلة وهمس بصوته الجميل الفاتر: «ديانا، الصيادة! اذا لم تخشي ذاكرتي».

اجابته ديانا بسرعة:

«و جايسون المسافر الكبير».

«حتى يجد ما يبحث عنه».

«من اين انت؟»

كانت ديانا ترتجف وعاجزة عن تحرير يدها من قبضة يده ومن نظراته. فأجابها:

«من كل مكان اجد نفسي فيه».

«لم اقصد ذلك. الظاهر انك لست من هذه البلاد. من اي بلد انت اذن؟»

«ترعرت ودرست في تكساس. هل انت راضية الآن؟»

في تلك اللحظة وصلت اونييس مع اخيها بول. كانا يعرفان جايسون من قبل، فانضيا الى الحديث. وخلال السهرة كانت



ديانا تؤدي واجباتها كمضيعة، لكنها ظلت تعي وجود جايسون الذي لفت انتباهها أكثر من سائر الضيوف.

بعد العشاء شعرت ديانا بيد توضع على ذراعها، فالتفتت إلى الورا ورأت جايسون قربها. فقال لها: «ألسنت محظوظاً، هذه السهرة هي الأخيرة أمضيها في العاصمة الانكليزية، لمدة يمكن أن تطول. هل من مكان يمكن أن نكون وحدنا فيه. أريد أن أقول لك شيئاً، في السر».

فخرجت ديانا وقالت بصوت منخفض: «لا... اني لا أعرف أي مكان».

فك ربطة عنقه ووضعها في جيبه ثم حل ياقة قميصه. وأمام عيني ديانا الممتلئين هلعاً، راح يتسم وكأنه يسخر من نفسه. ثم قال: «لم أعود أن أكون متذكراً هكذا».

«ولماذا جئت إذن؟»

«دعاني والدك إلى هذه السهرة، وليبت الدعوة لأنه يعجبني. لتتوقف عن الكلام الفارغ. وتعالني تمشي قليلاً».

عرفت ديانا في الحال أنها على وشك خسارة حريتها واستقلالها. «دعني أخير والذي بذلك...»

«سأتولى أنا الأمر، أذهبي وابخشي عن معطفك».

تنازلت عن فكرة المقاومة، وذهبت تبحث عن معطفها المخمل الأسود. وضعت على كتفها وخرجت مع جايسون يتمشيان، يدها بيده. إلى أين؟ كانت تجهل ذلك ولم يكن بينهما الأمر، فهي معه وهذا يكفي.

فجأة قطع جايسون حبل الصمت قائلاً:

«تأخرنا، وحان الوقت لأن أودعك، ولكن بعد أن أوصلك إلى البيت».

أوقف جايسون سيارة تاكسي، التفت نحوها وسألها: «هل منزلك بعيد؟»

وقبل أن يسمع الجواب، وضع يده حول كتفها، فرفعت رأسها هامة:

«حوال ربع الساعة».

عانقها طويلاً إلى أن وصل التاكسي إلى الشارع الذي تسكن فيه ديانا. فهمس:

«أريدك يا صيادتي الصغيرة، أريد أن أتزوجك، هل هذا ممكن؟»  
ومن دون وعي قالت:

«لكن لم نتعرف إلى بعضنا إلا منذ قليل، وأنا أعرف القليل عنك، كما اني لا أحبك».

قال ساخراً:

«هل هذا صحيح؟»

ابتعد عنها وأضاف:

«أريد أن أتزوجك يا ديانا، هل تقبلين أن تكوني زوجتي؟»  
ومن دون تردد أجابت:

«نعم»

وفي الحال شعرت بفرح عميق يحتاجها وفهمت أنها وقعت في غرامه. «سنتزوج بعد ثلاثة أسابيع، أي خلال زيارتي المقبلة إلى لندن».

«نعم، لكن... انت غير جدي... سوف تنسى».

«انعتقدين ذلك؟ معرفتك بي خاطئة، عندما أريد شيئاً، أفعل المستحيل لأحصل عليه. سنتزوج إذن بعد ثلاثة أسابيع».

فتح باب السيارة ونزل منها، ثم ساعدها على النزول. وعلى الرصيف كان يمسك بها ويتفحص وجهها المرفوع صوبه، ثم قبلها في



جيبها وقال:

«إلى اللقاء القريب، يا ساحرتي الصغيرة. كوني جاهزة للوقت المحدد».  
انتظر حتى فتحت باب المدخل وقبل أن تدخل إلى البيت، تطلعت  
إلى الممر. أشار إليها بتحيةة قصيرة وصعد إلى سيارة التاكسي. وظلت  
ديانا واقفة حتى اختفت السيارة عن الأنظار.  
في اليوم التالي، تناولت ديانا فطور الصباح مع والدها كالعادة.  
سألها:  
«أأمل أن يكون جايسون كلارك قد تصرف معك التصرف  
اللائق».

كانت ديانا تجهز لنفسها ساندويشاً من المربي. فلم ترد على سؤال  
والدها في الحال. وبعد أن انتهت من تحضير الساندويش، رفعت رأسها  
وراحت تتأمل وجه والدها. وقالت:  
«يريد أن يتزوجني».

رفع كريستوفر فارلي حاجبيه، وقال:

«يا الهي! لماذا؟»

وكعادتها، وخاصة بعد وفاة والدتها، كانت ديانا تتحدث عن  
مشاكلها مع والدها. وغالباً ما كان يقدم لها النصائح التي كانت تعمل  
لها باخلاص. لكن، هذه المرة بالذات، كانت تشعر برغبة في أن تحتفظ  
لنفسها بكل ما حدث معها تلك الليلة. قالت:  
«أعتقد، أنني أعجبه».

«يبدو لي أنها طريقة مستعجلة للخوض في مغامرة الزواج. فهت من  
طريقة حديثك أنك موافقة على عرضه».

«نعم».

«ومتى ستقيم حفلة الزواج؟ أعتقد أنكما تتويان عقد زواج مدني

أليس كذلك؟ لأنني لا أعتقد أن جايسون من نوع الرجال الذين  
يخضعون للطقوس الدينية».

«قال أننا سنتزوج بعد ثلاثة أسابيع، بعد أن يعود إلى لندن. يا أبي،  
هل عندك شيء ضد هذا الزواج؟ أرجوك أن تقول ما رأيك؟»  
اجابها وهو يبتسم:

«رأيتي لن يغير شيئاً، على ما أظن. وبما أنه سيقوم بالمعاملات القانونية  
لائقاً لهذا الزواج، فلا خوف عليك إذن. لكن هذا لا يمنعني من التفكير  
بأنك ما زلت غير مستعدة للزواج يا عزيزتي».

اجابت ديانا وهي مستعدة للدفاع عن نفسها:

«عمري واحد وعشرون عاماً».

«لم أكن أفكر بعمرك، بل بنظرتك إلى الحياة. لقد عشت حياة سهلة،  
وكلارك مغامر خطير، ولم يكن دائماً في المجتمعات الفضلى. أعتقد  
أنك لست في مستواه ومن الصعب عليك أن تنسجم معه. ربما بعد  
سنة أو سنتين...»

«لا أعتقد أن في وسعنا أن ننتظر سنة... أو أكثر».

ولاحظ والدها احمرار خديها فقال:

«هكذا إذن؟ ما عليّ إلا أن أبارك زواجك. هل تريدني أن استعلم  
عنه؟ لقد قمت بأعمال للمؤسسة التي يعمل فيها حالياً. وأعتقد أنهم لن  
يمانعوا بتزويدي بالمعلومات اللازمة عنه».

«نعم، أريد منك ذلك، وأرجوك، يا أبي. ألا تكلم أحداً في هذا  
الموضوع... أعني ليس الآن، ربما... من الممكن أن...»

توقفت عن الكلام، فلم تكن تريد أن تظهر مخاوفها، أو أن يبدو منها  
أية شكوك في حقيقة مشاعر جايسون نحوها.

«مخافين ألا يحقق جايسون ما وعدك به؟ يبدو أنك غير واثقة منه



تماماً. وهذه ليست نقطة انطلاق حسنة. يا ابنتي».

«ليس هذا ما أعنيه. لكنني لا أريد أن يعتبرني الجميع انانية حقاً إذا لم يتم هذا الزواج. أنت تفهم قصدي، أليس كذلك؟»

طوى والدها جريدته، وضعها تحت ابطة ونهض. ثم قال لها وهو يداعب خدها:

«اعتقد أنك على حق. أنت تفرصين على كبريائك. لا تخافي سأحتفظ بالسِر. وما عليك إلا أن تطلعي بي باستمرار على كل ما يتم معك».

لم تعيش ديانا من قبل ثلاثة أسابيع بطيئة مثل هذه الأسابيع. وفي شهر نيسان - أبريل وجاء شهر أيار - مايو. كانت الشمس ساطعة والهواء منعشاً. عرفت الحدائق بأزهار النرجس، براعم الكستناء بدأت تتفتح وبعضها يزهر أوراقاً صغيرة. العشب الذي يكسو أرض الحدائق يخضر وينمو. وفي معهد الفنون الجميلة حيث تتابع ديانا دروسها، أوشك الفصل على الانتهاء. يبقى فصل واحد وتحصل ديانا على شهادتها وتخرج.

برأ بوعوده، حصل كريستوفر فارلي على بعض المعلومات حول شخصية جايسون: رجل أعزب، في الثانية والثلاثين من عمره. درس في هيوستون وهو يعمل لدى الشركة نفسها منذ أن أنهى دراسته الجامعية. كلها معلومات معروفة إلا واحدة تقول: جده. والد اسمه، يدعى وليم د. رامو وهو نائب رئيس الشركة نفسها.

قال لها كريستوفر:

«على الأقل، تعرفين الآن أنه لم يكن متزوجاً، كما أن جده رجل ذو مكانة».

لكن الشيء الوحيد الذي كان يحجبها هو أن جايسون أخبرها الحقيقة. وهي الآن تعدّ الأيام التي تمرّ عشرون يوماً مضت حتى الآن

وفي الغد سيكون هنا.

وفي اليوم التالي جاءت العمة جرترود فارلي لشمسية أسبوعين مع العائلة قبل سفرها إلى أميركا لزيارة بعض الأصدقاء. إنها امرأة طويلة القامة، ذات وجه بارز التقاطيع، لا يزال يحافظ على بعض من جماله. كانت راقصة في شبانها. في العادة كانت ديانا تفرح عندما تزورها عمتها التي تعيش في كورنويل، في غرب انكلترا، حيث غلك بيتاً قرب البحر. كانت تزوره ديانا في عطلة الصيف عندما كانت صغيرة السن. لكن، هذه المرة، شعرت بأنها عاجزة عن استيعاب حكايات عمتها وقصصها الطريفة. لقد استولى جايسون على تفكيرها كله.

مضت ثلاثة أسابيع وخمسة أيام، من دون ورود خبر واحد من جايسون، لقد كذب عليها. وهو لم يكن ينوي أن يتزوجها. لا بد أنه وجد امرأة غيرها، مستعدة أن تشبه ما يريد، من دون أن يتزوجها. قبل يومين من عيد الفصح، كانت ديانا تتناول فطور الصباح مع عمتها جرترود عندما سمعت جرس الباب. إنه جايسون يحمل أزهار النرجس وعلى شفاهه ابتسامة عريضة.

«صباح الخير».

دخل من دون أن ينتظر منها أن تدعوه إلى الدخول. وضع الورد بين ذراعيها وقبلها على وجنتيها وقال:

«أني أراهن أنك كنت تعتقدين أنني نسيتك؟»

كان يرتدي بذلة غير رسمية. كحلية اللون. فوق قميص زرقا فاتحة. همت ديانا قائلة:

«نعم، تقريباً».

عانقها من جديد بينما كانت العمة جرترود تهمهم غير مصدقة ما



يجري امامها. ذلك ان ديانا لم تخبرها عن شيء. سألت العمة بلهجة متعالية وهي تنظر الى ديانا:

«من انت، ايها الرجل؟»

اجابها بلطف:

«جايسون كلارك، سيدتي.»

توجه صوب العمة، ومد يده ليصافحها قائلاً:

«انت من تكوينين؟»

«جرترود فارلي، عمة ديانا.»

وراح جايسون ينتقل في نظره بين ديانا وعمتها ويقول:

«اني لاحظ الشبه. واذا ظلت ديانا تشبهك عندما تصبح في عمرك،

فلن اكون نادماً على اني اتخذتها زوجة لي.»

وصرخت جرترود:

«زوجتك؟ هل تتويان الزواج فعلاً؟»

«نعم، بالطبع، واليوم بالذات، الساعة الثانية بعد الظهر. احتجت الى

بعض الوقت لأدير الامور. لم اكن اريد ان...»

التفت جايسون نحو ديانا وعيناه تبتسمان، وهمس قائلاً:

«لم اجرؤ أن أراك قبل ان أكون قد رتب كل شيء.»

«اليوم، بعد الظهر؟ لكني يا جايسون، لا أقدر...»

«بلى، بلى، الزواج سيكون بعد ظهر اليوم...»

وسألتها العمة:

«ديانا، لماذا لم تخبريني؟»

تدخل جايسون وقال:

«لأنها لم تكن متأكدة مني. لقد تأخرت خمسة أيام ولا بد أنها فكرت

اني لم أكن صادقاً.»

«هل والدك على علم يا ديانا؟»

«نعم. أخبرته، في اليوم نفسه، عندما عرض علي جايسون الزواج.»

«ومنذ متى يعرف احدكم الآخر؟»

اجاب جايسون وهو يغمز ديانا:

«منذ سنوات، لكن التقينا فقط منذ أربعة أسابيع، أمل ان تحضري

حفلة زواجنا، ايها العمة جرترود.»

«اني... أوه...»

شعرت أنها عاجزة عن الكلام. لكن سرعان ما استعادت شجاعته

لتقول بلهجة قاسية:

«اعتقد انك مجنون حقاً لتقرر الزواج بهذه السرعة.»

«هذا معقول جداً. عاجلاً ام آجلاً يصبح الانسان مجنوناً بسبب الحب.»

«يجب ان تعلم ان ديانا ليست مستعدة للزواج، فهي ما زالت

صغيرة وساذجة. لا تعرف ما معنى الحب. وهي تحتاج الى مزيد من

التجارب.»

وفوجئت ديانا عندما رأت جايسون يهز رأسه قائلاً برصانة:

«اني أقدر مدى اهتمامك. لكن لا تخافي سأغازلها بعد الزواج.»

تفرست العمة جرترود بشيء من المودة وقالت:

«أذن، سأحضر زواجكما بعد الظهر. هل ستقومان برحلة شهر العسل؟»

«لم افكر في هذا الامر، لأن الوقت لم يسمح.»

«لماذا لا تذهبان اذن الى كورنويل حيث يمكنكما ان تسكنا في منزلي

خلال غيابي.»

«لكن، يا عمتي، جايسون...»

شعرت ديانا بذعر مفاجيء. فالتفت جايسون نحوها قائلاً:

«الا تريدان اذن ان تتزوجيني؟»



رأت ديانا عيني جايسون الزرقاوين يلعبان بالرغبة،  
فهمست بعد ان استعادت وعيها:  
«نعم».

«اذن، كل ما عليك فعله، هو ان تضعي يدك بيدي، اليوم بعد الظهر،  
وتذهب معاً الى مكتب الزواج وتعتقد قرانتا».  
كان شهر العسل حلياً تحقق بالنسبة الى ديانا. كان الطقس جميلاً  
ودافئاً، مما اتاح لها قضاء معظم الوقت خارج المنزل. راحا يتنزهان على  
طول الشاطئ، او يتسلقان الشواطىء الصخرية حيث ينبت العشب  
الأخضر. كانا يركضان ثم يسقطان ارضاً، وهما يضحكان ويلهتان  
فرحاً.

بعد اسبوع، تبين لديانا انها تعرف عن جايسون أقل مما هو  
يعرفه عنها. كانت هي دائماً التي تتكلم. وعندما كان يأتي دوره، كان  
يفضل العناق على الكلمات، وهي منغمسة في حبيها، كانت تنسى ما  
سألته. وتبقى الاسئلة من دون جواب.

قالت له يوماً عندما كانا ممددين على العشب يأخذان حمام شمس:  
«لا بد ان لك اهلاً مقربين».

اجابها بكسل:

«هل هذا ضروري؟»

«كل انسان له أب وأم وأخ...»

«نعم، كان لي أب انكليزي ولد في منطقة لا تكشايير. كما ان لي ابناء،  
عمومة، هناك، في الشمال».

بقيت ديانا جامدة لا تتحرك، واضعة يديها على ذقنها. كانت  
تحبس انفاسها. فقد قرر اخيراً ان يحدثها عن عائلته. اسأله  
جايسون الكلام وقال:

«سوفي والسدي في السهل الاكوادوري. كان علماً في الفيزياء،  
متخصصاً في الاراضي. وكان ينتقب عن البترول للشركة التي اعمل  
فيها الآن. وهناك تعرف الى والدتي. كانت تقوم بزيارة للبلاد. وكان  
لوالدها مركز مهم في الشركة نفسها. احبها والذي وتزوجا في كيتو  
وعاشا هناك فترة من الزمن. وأنا ولدت في الاكوادور. ولهذا السبب،  
عندما سألتني من اي بلاد أنا، لم أعرف بماذا اجيب. كان والسدي  
انكليزياً واسي اميركية وأنا اكوادوري بالولادة».

«كم بقيت في الاكوادور؟»

«الى ان اصبح عمري ثمانى سنوات، ثم قررت والدتي، التي كانت  
تشرف على تربيتي ان تدخلي المدرسة في هيوستن، ولذلك انتقلت  
وظيفة والسدي الى هيوستن. لكنه لم يكن قادراً على الثبات في مكان  
واحد. كلما سحبت له الفرصة كان يذهب للتنقيب في بلاد أخرى. وفي  
احدى المرات، عاد الى الاكوادور ليشرف على الحفريات هناك، وقد  
قتل في حادث حريق اصاب احد المناجم النفطية».

«وكم كان عمرك حينئذ؟»

«١٢ سنة... وتوفيت والدتي بعد سنتين، بمرض السرطان».

«ومن اهتم بك بعد ذلك، اجدادك؟»

«كلا. سكنت عند بيل، شقيق والدتي، هو الآن نائب رئيس الشركة  
التي اعمل فيها. لم اكن سهلاً وخاصة عندما كنت في سن المراهقة.  
وعندما قررت ان اغادر المدرسة لكي التحق بالعمل في مؤسسة  
بترولية، تنفس خالي الصعداء».

اني اشبه والسدي، لا اثبت في مكان واحد».

وضعت ديانا رأسها على كتف جايسون، وشعرت بسعادة غامرة  
بقرب هذا الرجل المنشرد الذي قرر التخلي عن حريته ليتزوجها.



قال جايسون بهدوء:

«يجب ان نعود غداً».

«لماذا؟»

استدار نحوها، وقال:

«يجب ان اعود الى عملي، في الشمال».

لم تتوقع ديانا أبداً ماذا سيحدث بعد نهاية شهر العسل. كانت

تظن انهما سيستقران في إحدى ضواحي لندن، كغيرهما من المتزوجين.

ولم تتوقع أبداً، ان تجد نفسها وحيدة بهذه السرعة.

«هل يمكنني مرافقتك؟»

اجابها بلهجة حازمة:

«كلا».

«لماذا؟»

«لأن ذلك مستحيل».

«لكن، ماذا علي ان أفعل؟»

«ما كنت تفعلينه قبل زواجنا. استمري في القيام بأعمالك الخاصة التي

ليس لها علاقة بنا. استأنفي الذهاب الى الجامعة واحصلي على

شهادتك. ثم ابحتي عن العمل الذي تحبينه والذي حدثتني عنه مرة.

ان زواجك مني لا يمنعك من ان تفعلي ما تحبين...»

«لكن، يا جايسون، اريد ان أكون حيثما تكون أنت. أريد ان أكون

في انتظارك كل مساء، عندما تعود من العمل. وليس فقط مرة كل ثلاثة

أسابيع».

شعر جايسون بشيء ما في داخله انعكس في عينيهِ. راح يداعب

وجنتي ديانا، ثم شعرها، بنعومة فائقة. وهس قائلاً:

«أنت انسانة لطيفة. لكن لا أستطيع ان أخذك معي الى منطقة

التنقيب عن النفط، خصوصاً الذي اعمل فيه الآن، انه في وسط البحر».

«يمكنني ان ابقى على الساحل. اني اعرف فتاة متزوجة من عامل

حريات، وهما يسكنان في منزل في بيترهيد، القريب من عميلك».

«كلا، لن ابقى هناك مدة طويلة. فلا داعي لأن تتركي مدرستك من

أجل هذا. عليك ان تبقى هنا في لندن وتعتري على شقة، وسأوافيك

الى هناك كلما سمحت لي الظروف».

خاب أمل ديانا. البحث عن شقة ليس سهلاً، ثم انها لا تعرف

كيف تفرشها وهي التي تجهل تماماً أي نوع من الاثاث يجب.

«آه، يا جايسون، لا اريدك ان تذهب. ألا يمكنك الحصول على عمل

في مكان ثابت؟»

نهض جايسون فجأة ودار لها ظهره وقال:

«ليس الآن. لأنني لست مستعداً لذلك. قد يحصل ذلك يوماً. ولكن

ليس في هذه البلاد... لا تحاولي اجتيازي، ايها الصيادة، فلن

تنجحي».

صرخت جين في كآبة:

«لماذا تزوجتني إذن، اذا كنت لا تريد ان تبقى معي».

ادار وجهه وحذق بها. ثم انحنى صوبها وشعرت به يلتصق بها

وسمعه يهس قائلاً:

«أنت تعرفين لماذا، على ما اعتقد، لم يكن بوسعي ان أفعل شيئاً آخر».

كان صدى كلمات زوجها ولمسات يده على شعرها ورائحة جلده،

كلها تتفاعل في داخلها. هي أيضاً لم يكن في وسعها ان تفعل شيئاً

آخر.

في اليوم التالي، عادا الى لندن وامضيا الليلة في منزل والدها.

وفي الصباح التالي، سافر جايسون الى شمال انكلترا وبدأت



ديانا تبحث عن شقة تستأجرها.

وبمساعدة صديقتها أونيس، استأجرت شقة صغيرة في الطابق الثاني من بناية قديمة تطل على نهر التاميس. وكانت ديانا مدينة لصديقتها على هذه المساعدة برغم معرفتها أن أونيس وبول ازعجها زواجها المفاجيء فلم يعلقا عليه ولم يهنئها أيضا.

كتبت ديانا رسالة الى جايسون ابلفته فيها عنوان الشقة ثم راحت تهتم بشراء المفروشات اللازمة لفرشها. وخلال اسبوعين، كانت قد اشترت سريراً عريضاً وخزانتيين، وطاولة وكرسيين ووسادات عدة وضعتها في قاعة الاستقبال.

وفي احد الأيام، كانت عائدة من الجامعة، دخلت الى غرفة النوم ففوجئت بجايسون نائماً في السرير استيقظ لدى سماعه خطواتها وصرختها. وتعانقا بحرارة. بقي جايسون مع ديانا ثمانية أيام، ثم سافرا الى الشمال عائداً الى عمله. وخلال الأشهر التالية، كانا يفترقان لمدة اسبوعين أو ثلاثة، ليلتقيا أسبوعاً واحداً. ولما كان يذهب كانت ديانا تشعر بالملل، لكنها سرعان ما كانت تستأنف حياتها العادية، في الجامعة، لنيل الشهادة المطلوبة، وفي العمل في مؤسسة صغيرة كرسامة تبتكر النادج لأزياء الثياب النسائية. كل ذلك يساعدها على تحمل العيش وحدها حتى عودة جايسون.

وكلما كانا يلتقيان، يشعران بسعادة كبرى ولم يشاجرا إلا نادراً جداً. وخلال اقامته في لندن، كانت ديانا تتعرف الى جايسون أكثر فأكثر. كان يحب الموسيقى الرقيقة ويحب حضور الحفلات الموسيقية الكلاسيكية التي تقام في الصالات الكبرى في لندن. كان يحب الاستفادة من امواله ويصرف من دون حساب، ويشترى الأثاث الثمين ليزين شقته، كما كان يهدق على ديانا الهدايا الفاخرة.

وعندما تكون ديانا وحيدة، كانت تقضي معظم وقتها مع صديقتها أونيس التي كانت تسكن في جوارها. وغالباً ما يكون شقيقها بول موجوداً معها، لكن عندما يعود جايسون، تعدل ديانا عن رؤية احد، فقط تقوم بزيارة لوالدها بطلب من جايسون نفسه.

في احد الأيام، بعد ان سافر جايسون، سألتها أونيس قائلة: «ألا تسألين ابداً ماذا يفعل جايسون عندما يكون بعيداً عنك؟» «يقضي الوقت في عمله».

«ليس هذا ما أريد ان أقوله. اقصد عندما لا يعمل، أي في وقت الفراغ. مثلاً في عطلة نهاية الاسبوع، عندما لا يكون قادراً على المجيء الى لندن، ماذا يفعل، يا ترى؟»

اجابها ديانا بلهجة خفيفة:

«انه ينتظر ان يراني بفارغ صبر».

عند عودته وجد جايسون زوجته ديانا متغيرة، تريد امتلاكه. قال لها:

«لا تكوني مثل النساء اللواتي يحبين إمتلاك أزواجهن، ابتها العيشة، وإلا فلن أعود إليك في المرة المقبلة».

وأضت ديانا الأسابيع التالية وهي تتساءل ما اذا كان جايسون سينفذ ما هدها به. ولكي ترفع من معنوياتها دعتهأ أونيس الى العشاء وقالت لها:

«زوجك يفعل كل ما يريد، أليس كذلك؟ انه يتمتع بك كزوجة ولا يتحمل أي مسؤولية. وأنست تدعينه يفعل ما يريد من دون اعتراض».

اجابها ديانا:



«ليس بذلك المنظار ترى الأشياء وتحكم عليها. لماذا أنت وبول لا  
تعبانها»

«وما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟»

«موقفكما منه».

«ما دمت تريدان الحقيقة، أقول لك أنني لا أعتقد أنه الزوج المناسب  
ومن جهة ثانية، إن شقيقي بول إنسان تعس وحزين، وذلك بسببه  
هو».

«لماذا؟ أني لا أفهم».

اجابتها أونيس معتدة:

«الم تلاحظي أن بول وقع في غرامك منذ اللقاء الأول بينكما. وأنه  
كان يأمل أن يتزوجك يوماً؟ هل تصورت لحظة واحدة ما كانت ردة  
فعله عندما قررت الزواج من هذا الرجل المغامر؟»

«ليس جايسون بإنسان مغامر، لماذا تقولين ذلك عنه؟»

«لأن كل رجل مغامر، يجذب النساء».

اجابتها ديانا في توتر:

«لكنني زوجته، والمرأة الوحيدة التي يحبها».

«كيف تكونين في مثل هذه السذاجة؟»

«أنت... تريدان أن تقولني أن جايسون... كيف تتجراين أن تقولني  
هكذا عنه؟ أني أعرفه جيداً، فهو ليس كما تتوهمين».

اجابتها أونيس:

«يبدو أنك لا تعرفينه جيداً، أنت بما زلت متأثرة بسحره ولم تفكري يوماً  
أن تسأليه لماذا يتأخر أحياناً ليعود إلى لندن...»

اجابتها ديانا في غضب شديد:

«أونيس، إذا كنت تريدان أن تبقي صديقة لي، فأرجوك ألا تضيفي

شيئاً. أني أثق بجايسون تمام الثقة وأني متأكدة من أنه الزوج  
الذي لا يخون زوجته».

«في هذه الحال، واسفاء عليك».

غيرت أونيس فجأة لهجتها واقتربت من ديانا وأضافت في  
صوت ناعم:

«الآن ترين أنني أقول ما أقوله من أجل سعادتك؟ أنا أريد أن تكوني  
إنسانة سعيدة؟ لو أنك اطلعتني على نيتك الزواج منه، لكنت نهتك  
وأخبرتك عن حقيقته، أنه إنسان من دون قلب ولا عاطفة، رجل وقع،  
«دون جوان» حقير...»

وفجأة، تهدج صوت أونيس، ووضعت رأسها بين يديها، ونظرت  
ديانا إليها وتذكرت أن أونيس التقت جايسون قبلها، ربما هي  
أيضاً وقعت تحت سحره، وربما... لكنها رفضت أن تعتمد مسبقاً على  
العلاقات التي يمكن أن تكون قد حدثت بين أونيس وزوجها.

اجابتها ديانا ببرود:

«أشكرك لأنك تحذيريني الآن، يا أونيس».

شعرت ديانا بالدم يشجس في عروقها، وقررت أن تغير الحديث.  
«مضى ستهين إلى باريس؟ هذا لطيف من مدبرك أنه قرر أن يعهد  
إليك مهمة رئيسية».

رفعت أونيس رأسها وابتنست. ثم أخذت يد ديانا وشدت  
عليها وقالت:

«أنت إنسانة رائعة، يا ديانا. لكنك سريعة العطب. لا أريد أن أراك  
تألمين، أني ذاهبة إلى باريس في الغد. وسأصل بك حالاً أعود».

بعد مضي أسبوع، عاد جايسون إلى لندن. كان من المنتظر أن  
يعود قبل ثلاثة أيام. وكان صامتاً ومتعباً. وكالعادة، فرحت ديانا



لدى رؤيته ولم تطرح عليه أي سؤال. كان يكفي أن يأخذها بين ذراعيه لتنتهي كل الشكوك التي كانت أوتيس تحرضها عليها.  
وفي الغد، رن جرس التليفون. فاستيقظت ديانا من نومها. لكن جايسون كان ينام بعينيه مغمضتين. نهضت ديانا من سريرها ووضعت عليها منظرها المطرز الذي قدمه إليها جايسون وخرجت من الغرفة لترد على الهاتف الموجود في البهو.  
«صباح الخير، يا عزيزتي، أوتيس تتكلم معك، لقد عدت من باريس البارحة. أتريدان أن تأتي بعد الظهر لزيارتي وتناول الشاي معي؟ وسأخبرك عن سفري. وكذلك سيأتي بول بعد العمل.»  
«لا يمكنني أن أزورك اليوم، يا أوتيس. فقد عاد جايسون البارحة.»

«صحيح، هل أخبرك عن مغامرته المخاطفة في باريس؟»  
«باريس»

قطعت ديانا حاجبها وألقت نظرة على خفية جايسون ورأت بطاقة كتب عليها: المخطوط الجوية الفرنسية.  
واستطردت أوتيس تقول:  
«نعم، لقد رأيته في المطار، كانت ترافقه فتاة شابة جميلة وشقراء. كانت متعلقة بذراعه وبقبضته قبل أن يودعها ويأخذ الطائرة.»  
اجابتها ديانا وهي ترتجف:

«لا بد أنك أخطأت يا أوتيس، ربما شاهدت رجلاً يشبهه.»  
«اتعظدين فعلاً أنني مخطئة يا ديانا؟ أنت تعرفين أن لا أحد يمكنه أن يشبه جايسون؟»

اجابت ديانا وهي تحاول أن تفرح:  
«إن لكل إنسان على الأرض آخر يشبهه.»

«كلا، كلا، إن الرجل الذي شاهدته في مطار باريس هو جايسون بالذات. حسن المنظر، طويل القامة... تعالي معه اليوم بعد الظهر لزيارتي. وأنا سأقول له وجهاً لوجه أنني رأيته. وسيبرني أن أرى ردة فعله.»

«أشكرك، يا أوتيس، أنا سأكله بدوري، إلى اللقاء.»  
وضعت ديانا ساعة الهاتف بهدوء. ثم رأت جايسون واقفاً أمام باب غرفة النوم ومنشفة الحمام حول خصره وشعره مشعث وعيناه نصف مغمضتين. سألتها:

«من كان يكلسك في الهاتف؟»

«أوتيس، فهي تدعونا إلى تناول الشاي في منزلها اليوم بعد الظهر.»  
اجابتها بلهجة ساخرة:

«لا يمكنني أن أذهب، لم يبق لي هنا في لندن سوى ساعات قليلة، وما زالت هناك أمور كثيرة أريد أن أطلعك عليها.»  
قاطعتها بحدّة:

«لولا لم تقض وقتاً لا بأس به في باريس، لكان عندك الوقت الكافي لتبقى معي وقتاً أطول، لماذا ذهبت إلى باريس؟»  
«لأشتري لك هذا المنزر المطرز وأجلب لك بعض العطورات الفرنسية ولم يسمح لي الوقت بأن أقدمها لك أمس.»  
راح يفتش في حقيبته ويرمي ملبسه القذرة على الأرض.  
فصرخت ديانا:

«أنتظر مني أن أصدق ما تقولي؟ لم تذهب إلى باريس إلا لشراء بعض الهدايا لي!»

نظر جايسون إليها في برود وقال لها من دون أي اضطراب:  
«كانت هناك أيضاً بعض الأعمال التي كنت مضطراً أن أقوم بها.»



التقط عليه مليئة بالعطور وقال لها:

«خذي، هذه لك، هذا ما تعلم به كل امرأة».

رأت ديانا الهدية المغلفة بالورق الثمين والمزينة بالشرائط المذهبة وعليها اسم مشهور في عالم العطور. لا بد أن تكون هذه الهدية كلفت الكثير من المال، كبقية الهدايا.

قالت له:

«لا أريدها، ومن الآن فصاعداً لن تشتري سكوتي بالهدايا».

رأت وجهه يشحب وهو يعرض على شفتيه من الغضب. رمى بالعلبة أرضاً كما لو أنها مسحة قديمة. ثم اقترب منها وقال في هدوء: «ماذا هناك، يا حبيبتي؟»

«اني... اني لا أصدق أنك تقول لي الحقيقة. اني اعتقد أنك ذهبت الى باريس لرؤية... امرأة أخرى».

اجابها والسخرية تملأ صوته:

«أما زلت غيورة؟»

وضع جايسون يده حول خصر ديانا وراح يلامس خديها برفقه. احسب ديانا بالاشمئزاز وابتعدت عنه صارخة:

«لا تلمسني، فأنا لا احتمل ذلك».

اجابها بجفاف:

«هذا لم يكن يزعجك الباردة مساء. ماذا جرى حتى تبدلت؟»

لقى نظرة على الهاتف وفجأة فهم كل شيء:

«لست في حاجة الى أن تقول لي ما حدث، انها هذه المرأة ال...»

توقف عن الكلام وتفرس في ديانا ثم عاد يقول:

«اخبرتك لماذا ذهبت الى باريس. لماذا لا تصدقينني؟ الا تتقينني؟»

همست ديانا قائلة:

«كلا. يا جايسون، لم اعد اثق بك بعد الآن».

ادار وجهه فجأة، ودخل الحمام وصق الباب خلفه.

تكرمت ديانا في الكتبة، حزينة حتى الموت. فهي لا تصدق ما حدث الآن. لقد كذب عليها جايسون وهو ينتظر منها أن تصدقه وألا تشك بكلامه.

القت نظرة على أرض الصالة، فوجدت الثياب المفردة. وكأنسان ألي راحت تلمسها. وإذا بورقة صغيرة تقع من احد جيوب القميص. التقطتها بغية رميها، لكن لم تستطع ان تمنع نفسها من قراءة ما تحتويه.

«جايسون، اتوسل اليك، ان تأتي الى باريس. فأنا في حاجة الى مساعدة. اني أمر في مازق صعب. اذا كان لك قلب، فارجوك ان تأتي الى باريس بأسرع ما يمكن على العنوان الآتي ذكره أعلاه. كنت تقول لي أنك تأتي لزيارتي اذا طلبت منك ذلك. وكنت تقول: اينما كنت وفي أي وقت. اذا، حان الوقت لأن تساعدني. انت الوحيد الذي يمكن ان يساعدني الآن. ارجوك ان تأتي. اقبلك. كارول»

رمت ديانا بالورقة التي راحت تتطاير قبل ان تسقط الى الأرض. والقت بالقمصان كما لو كانت مليئة بالجراثيم. لم يعد هناك أي شك: ذهب جايسون الى باريس بناء على طلب امرأة تدعى كارول.

ذهبت الى المطبخ وراحت تحضر فطور الصباح، محاولة ان تنسى احزانها، بانها كما يعمل ما. مدت الطاولة واعدت القهوة والبيض المسلوق.

دخل جايسون وجلس في كرسيه بدون ان يتطرق بكلمة واحدة. لاحظت ديانا انه ما زال يجهل كيف يعقد ربطة عنقه كما يجب.

سيطرت الغيرة على مشاعر ديانا، ولم يكن في وسعها ان تتحمل



بجرد التفكير بأن امرأة أخرى كانت معه. فقالت:

«جايسون، اني مصرة على أن تخبرني كل الحقيقة. لماذا ذهبت إلى باريس؟»

«قلت لك الحقيقة. كنت أحلّ بعض المشاكل العائلية».

«إذا كانت المشاكل عائلية، فلست أرى ما الذي يمنعك من أن تحدثني عنها. لا تنسى اني زوجتك».

«اني اسف، لا يمكنني أن أحدثك عنها».

«ولماذا؟»

«لأنك لن تفهمي ما سأقوله. انك انسانة مترممة تصدرين احكاماً جائرة على الآخرين».

قالت وهي على وشك البكاء:

«هل حقاً تفكر بي هكذا؟»

«أليس تصرفك هذا يرهاناً قاطعاً؟»

كانت تريد ان تسأله من تكون تلك الفتاة التي تدعى كارول لكنها ادركت انها لو ارتكبت هذا الخطأ، فسيعرف انها قرأت الرسالة وسيتهمها بالتجسس عليه.

«شاهدتك اونيس في مطار باريس. وقالت لي انك كنت مع فتاة شقراء. كانت تقبلك...»

«لقد عرفت ان اونيس وراء كل هذا».

«انها صديفتي. اني اعرفها من زمان وقبل ان اتعرف اليك بكثير».

«صحيح. ولذلك تصدقين كل ما تقوله. وكل ما أقوله أنا، هو كذب».

انجنى امامها وقال بهدوء:

«اسمعيني يا حبيبتي، ان زواجنا يجب ان يقوم على الثقة المتبادلة وإلا، فليس علينا إلا ان نفترق حالاً. هل تريدان ان نفترق؟»

لم تعد تعرف ما تجيب. منذ أشهر مضت، كانت مكتفية بوجوده وحبه. أما الآن فان هذه الاشياء لم تعد كافية بالنسبة اليها.

انتهى جايسون طعامه ونهض. ونظرت ديانا اليه ورأته ينظر اليها ثم يقول:

«الظاهر ان ليس لديك جواب. اما أنا، فليس في نيتي ان أفتش على برهان أثبت به براءتي. يمكنك ان تصدقي ما تريدينه».

نهض وتوجه نحو الغرفة وراح يوضب حقائبه.

سألته ديانا بصوت مرتجف:

«إلى أين انت ذاهب؟»

«إلى هيوستن. دعنتي الشركة لبحث معي في نقلي إلى مكان آخر. كان في نيتي ان اصطحبك معي، لكن على ما اعتقد، تفضلين البقاء هنا، لتتناولي الشاي مع صديقك اونيس واخيها بول. هذا الحبيب».

«بول ليس خبيثاً».

«صحيح؟ ليس لدي الوقت ولا الرغبة في ان نناقش ذلك».

قالت ديانا وهي تشعر انه لن يغير نظرتة اليها:

«جايسون، ليس في وسعك الذهاب هكذا».

«انعتقدين ذلك؟ ومن الذي سيردعني عن الذهاب؟»

فتح الباب وحمل حقائبه ونظر اليها وقال:

«عمتك جرتود كانت على حق. انت لا تعرفين ما معنى الحب. حتى الآن. وعلى الأقل».

«جايسون... اني...»

كانت على وشك الاعتذار. وان تطلب منه ان يسامحها.

لكنه أقفل الباب بسرعة.



بقيت ديانا مذعورة ومضطربة. تريد أن تفتح الباب وتناديه.  
لكنها لم تكن قادرة على ذلك.

ومثل انسان منوم مغناطيسياً، توجهت نحو غرفة النوم. ومن النافذة  
وأته يشير الى سيارة تاكسي. ثم يصعد في المقعد الخلفي ويختفي عن  
الأنظار.

استدارت ووجدت خزانة الثياب مفتوحة ومحتويات الجواريز  
فارغة. لقد اخذ جايسون كل اغراضه. وهذا يعني انه لن يعود.  
جلست ديانا امام المرأة وعيناها مملتان بالدموع. واذا بها ترى  
العلبة التي جاء بها من باريس هدية اليها.  
وضعت وجهها بين يديها وراحت تجيش بالبكاء.  
وشعرت بقلبيها يتمزق!

### ٣ - الدوامة

«ديانا»

كان صوت جايسون الذي استيقظ، قد ايقظها من تأملاتها  
واعادها الى الواقع، الى غرفتها في الفندق، الى البرد الذي يعم الغرفة  
والى حيرتها التي لا تنتهي.  
سألت:

«ماذا تفعلين؟»

وبالكاد كانت تميزه في العتمة. فجاء شعرت بالثور، وقالت:

«اني... اني اعد النجوم»

«هذا عمل شاق لا ينتهي. ان عدد النجوم لا نهائي».

فوجئت ديانا، لقد صدقها، اذ لم تكن هناك سخرية في صوته.  
اضاف هامساً:

«البرد قارس! لماذا لا تدخلين الى النوم هنا في السرير؟»

اجابته وهي تحاول التغلب على تشعيرة البرد التي تحتاج جسماً:

«اني مرتاحة حيث أنا شكراً».

قال وهو يحنق ضحكة صغيرة:

«لا خطر عليك اذا كنت قربي. أنا مرهق ولن اقوم بأي عمل فيه  
اجهاد».

كانت تعرف جيداً ماذا يعني. وفهمت ان جايسون لم يعد يرغب



فيها. لم تعد تلك المرأة التي احبها التي كانت تعني له اشياء كثيرة.  
لماذا عليها ان تعاني من هذا الوضع؟ فهي تعرف جيداً انه لم يعد  
يريدها. وقاست من العذاب ما يكفي بعد ما غادر لندن منذ خمسة  
عشر شهراً. الى هيوستن. كانت تنتظره آملّة ان يعود. وبعد مضي شهر  
بكامله لم تسمع عنه شيئاً. فافتنعت بأنه لن يعود.  
ومرة سألت والدها اذا كان يعرف شيئاً عن جايسون وعن مكان  
وجوده. فقال والدها وهو يلقي اليها نظرة باردة:  
«لماذا تطرحين هذا السؤال؟»

«عند أكثر من شهر لم اسمع عنه شيئاً. وبدأت أخشى ان يكون قد وقع  
له حادث ما».

ثم انفجرت باكياً وهي تقول:  
«آه. يا أبي. تشاجرنا في لقائنا الأخير. فغضب ورحل. والآن بدأت  
اعتقد بانني ربما خسرتك الى الأبد».

«اني افهم الآن. هناك وسيلة واحدة لمعرفة الحقيقة. ليس عليك إلا ان  
تكتبي له رسالة. وأبعثي بها الى عنوان شركته. التي ستوصلها اليه  
بالتأكيد. انني متأكد من انه يملك السبب الحقيقي لصحته».

عادت الى منزلها وبدأت تكتب الرسالة. وكانت تجد صعوبة كبرى  
في اختيار الكلمات. كانت تكتب لرجل غريب. ويرغم كون العلاقة  
بينهما حميمة. اكتشفت ديانا انها لم يعرف احدهما الآخر كفاية. فلم  
تستطع ان تكتب له إلا عن الامور السطحية من دون ان تذكر شيئاً  
عن العذاب الذي تعاني منه من جراء رحيله.

الحياة تستمر والايام أصبحت أسابيع والأسابيع شهوراً. وديانا  
لم تتسلم جواباً على رسالتها. لم تستطع ان تكتب اليه رسالة اخرى

كانت تحب صداقتها اونييس بما تشعر به وهي في قبضة الانتظار.  
فراحت تحاول اقناعها ان زواجها من جايسون كان خطأ عليها ان  
تساه وتبدأ حياة جديدة.

قالت اونييس:

«نال من هذا الزواج ما كان يريد. وعندما قلت له انك ترفضين  
واقحته. انتهزها فرصة ليخلى عنك. وهو كان ينتظر فرصة كهذه. لأنه  
لم يعد يرغب فيك. لو كنت مكانك. لطلبت الطلاق في أي حال. لن  
يعود اليك أبداً».

لكن ديانا كانت تقاوم طويلاً فكرة الطلاق. وفي احدى الليالي.  
بعد سهرة امضتها مع اونييس و بول. قام هذا الأخير بتوصيلها  
حتى باب منزلها. وهناك حاول ان يقبلها. لكنها صدته واذا به يصرخ  
بصوت غاضب:

«لم اعد قادراً على الانتظار أكثر من هذا».

«أسفة يا بول. لا تظن انني اتجاهل صداقتك. لكن جايسون ما  
زال زوجي. و...»

«أعترف ذلك جيداً. لكن حان الوقت ان تتخذي موقفاً من هذا  
الموضوع».

«هل تعني ان علي ان اطلقه».

«نعم. وهذا يجعلني أكثر من صديق لك. انه يتيح لي ان اتزوجك».  
«لكن علي ان اتصل بجايسون قبل ذلك. لا يمكنني ان احصل على  
الطلاق من دون ان اكلّمه. أو أراه. انني لا أعرف أين هو».

«ليس من الضروري ان تريه او تحدّثيه. ما عليك إلا تسليم القضية  
الى المحام لامع. يمكنه ان يرتب الأمور بسهولة».

«شكراً لنصيحتك هذه. وربما هذا ما سأفعله. سأستشير احد المحامين.



وسأعلمك بالأمر في حينه».

لكنها لم تستشر أي محام. لقد فضلت أن تطلب النصيحة من والدها، الذي سألها ببرود:

«ولماذا تريدان أن تتصلي بجايسون هذه المرة. في المرة الأخيرة، لم يحالفك الحظ».

اجابته قائلة:

«بول يريد أن يتزوجني».

«وانت؟ تريدان الزواج من بول؟»

«لا أعرف، اني احترمه، انه لطيف جداً معي، لكنني خائفة من ارتكاب غلطة أخرى».

سألها كريستوفر في حدة:

«هل تعتقدين ان زواجك من جايسون غلطة».

اجابته من دون تردد:

«كلا، أه، لا أعرف، لم تتزوج الا من وقت قصير. ونادراً ما رأيت

وبالكاد اعرفه! يا ابي، ارجوك ان تقول لي: ماذا افعل؟»

«بصراحة، يا عزيزتي، اعتقد انك في حاجة الى اجازة. يجب ان تغادري

شقتك، لتذهبي الى مكان مختلف تماماً، حيث لا تعرفين احداً. اعتقدها

يمكنك ان تطلبي اجازة من عمك».

«نعم، لدي اسبوعان من اجازتي، لكنني كنت اتوي ان امضيها لـ

اليونان، مع أونيس».

قطب كريستوفر حاجبيه وتابع يقول بصوت هادي:

«لا اعتقد ان سفرك مع أونيس الى اليونان هو الحل الجيد لـ

شقيقة بول وغالباً ما تراه. وستجدين صعوبة في اتخاذ قرار عال.

حسب رأيي، من الأفضل ان تأتي معي الى اميركا الجنوبية بعد اسبوع من الآن. سأذهب أولاً الى فنزويلا، ثم الى الاكوادور وبعدها الى البيرو، اذا سمح لي الوقت بذلك. انها رحلة عمل واستجمام في الوقت نفسه. هل تعجبك فكرة مرافقتي، كما في الماضي؟» قبلت ديانا عرض والدها واحست بالارتياح. وها هي الآن في كيتو، ووالدها مضطرب في قلب الأدغال، وزوجها نائم في سريرها. نهضت ديانا، احست بالبرد يخترقها. وشعرت بحاجة الى دخول السرير، ووضع غطاء فوق جسمها البارد.

كان جايسون نائماً. وهولن يشعر بها اذا اندست في السرير، الم يطمئنها انه لن يحاول ايذاءها أو حتى لمسها.

رفعت زاوية الغطاء وقعدت في الجهة الفارغة من السرير ورمت الغطاء فوقها واحست بالراحة والحرارة. مدت قدميها وتركت اطرافها تسترخي.

بعد ذلك بقليل تحرك الغطاء فجأة، فتحت ديانا عينيها. كان جايسون يتحرك في السرير واذا بذراع ثقيلة جامدة تقع على جسمها وتسرعا في السرير.

راح قلب ديانا يخفق مثل عصفور سجين. ولم تحاول القيام بأي حركة، لقد يرحها التعاس، كانت خائفة ان يستيقظ زوجها.

وبالرغم منها، سعلت. تحركت يد جايسون الموضوعه فوقها، فلم تم بأي حركة. واذا بجايسون يدور الى الجهة الثانية ويبتعد عنها.

استعادت ديانا تنفسها وسعته يهسي:

«حاولي ان تلمي بعض الشيء. قدأ سيكون نهراً طويلاً. وستكونين في حاجة لكل قواك».

صوت جايسون الناس شدة من عزيمتها. فاسترخت وسرعان ما  
لجأت الى النوم العميق.

عندما فتحت ديانا عينيها، كانت الشمس قد اشرقت، وكل ما  
حولها ساكن. وللحظة قصيرة، تساءلت ما اذا كان ما حدث امس مجرد  
حلم. استدارت، وكانت الجهة الثانية من السرير فارغة. جايسون  
كان قد غادر. فنهضت ونظرت الى الكرسي حيث وضع جايسون  
قبضه وسترته. فلم تر شيئاً.

ذهب دون ان يترك أية رسالة. نهضت من سريرها، ودخلت الحمام  
لتأخذ حماماً سريعاً، ثم ارتدت فستاناً من القطن المعرق. وبينما كانت  
تسرح شعرها، رن جرس الهاتف.

وفي اضطراب، اسكت بالساعة وسمعت صوت جايسون:  
«وأخيراً استيقظت ايها الكسولة. ما رأيك في تناول فطور الصباح.  
لاشرح لك كيف نظمت سفرك الى بونو. فلم تسمح لنا الظروف ان  
نتكلم عن هذا الأمر امس».

سألته ديانا:

«اين انت؟»

«في قاعة الاستقبال. انتظرك بعد ثلاث دقائق».

«بعد خمس دقائق».

كان يمتشي مثل اسد في قفص. ولاحظت ديانا ان النساء  
العابرات يتريشن لينظرن اليه. كان يمشوق القامة، اثقراً لوحته  
الشمس في هذه البلاد، حيث معظم الرجال سمراء وشعرهم اسود.  
قال لها من دون مقدمة:

«اتصلت بفاري فاوست، انه وكيل مدير الشركة. لقد ابغضني ان

كريستوفر امضى ليلة جيدة في المستشفى. وهو موافق ان ترافقيني  
الى بونو».

سألته وهي تتوجه نحو غرفة الطعام:

«لماذا؟ هل كنت في حاجة لاستئذانه؟»

«لا. لكن الاشخاص الذين يقومون بابحاث في حقول النفط يفضلون  
ان يعرفوا مسبقاً مع من يتعاملون. انهم يخافون ان تقدم الشركات  
المنافسة على ارسال من يتجنس عليهم».

«شكراً. لم اكن افكر ان...»

لوتفت فجأة وجلست في الكرسي أمام الطاولة.

«لم تفكري بماذا؟»

«انك قلتي الى هذا الحد لما حصل لأبي».

رمى جايسون ديانا في استغراب ثم هز رأسه وقال:

«ان لك رأياً غريباً في الناس عامة وفي أنا بشكل خاص. لماذا تعتبرين  
ان الذي حصل لوالدك لا يهمني أو يجعلني غير مبال ولا مكترث؟ أولاً  
انه انسان، كما اني اكن له كل محبة...»

توقف عن الكلام بعدما جاء الخادم، ثم اضاف:

«ماذا تريدان ان تشربي؟ هل سبق وثوقت الليمون الذي ينمو في  
هذه البلاد؟ يجب ان تجربيه. انه لذيذ الطعم وتجديده فقط هنا في  
الأكوادور».

طلب جايسون كل ما يريد بلغة اسبانية صحيحة. وسألته  
ديانا بتعجب:

«لم اكن اعرف انك تتكلم الاسبانية».

«امضيت السنوات الشاهي الأولى من عمري في هذه المدينة. لقد



أخبرت ذلك، ثم عشت في تكساس حيث اللغة الأسبانية هي بمثابة لغة ثانية، اتعرفين، أن الولد الذي يتعلم لغة أجنبية لا ينساها مدى الحياة، وعلى هذا الأساس عرضوا عليّ العمل هناك.

ثم أضاف فجأة:

«غيرت تسريحة شعرك».

وللمرة الأولى شعرت ديانا بالحجل أمام زوجها. وفي حركة لا شعورية وضعت يدها على شعرها وقالت:

«قصينه حسب الموضة».

«كنت أفضله عندما كان طويلاً».

وهنا شعرت ديانا كأنها ارتكبت جريمة لا تغتفر، لأنها قصت شعرها!

جاءت الترويقة الموهلة من البيض المسلوق والقهوة ذات النكهة اللذيذة، وشرائح الخبز المحمص والزبدة. وراحت ديانا تأكل في شهية وهي تتذكر آخر فطور تناولته مع جايسون، منذ سنة تقريباً. ولجأة، تذكرت اليوم الذي سبق سفرها بمدة وجيزة، عندما سألت والدها عن جايسون، وأين يمكن أن يكون. ولم تنتبه إلا الآن أنه لم يرد على سؤالها. ثم تذكرت سبب سؤالها عنه ولماذا أرادت أن تعرف مكان وجوده.

يجب أن تجد الوقت المناسب في الأيام القليلة الباقية أمامها لابتداء رغبتها في الطلاق.

فجأة تقلصت معدتها ولم تعد قادرة على ابتلاع لقمة أخرى. أما جايسون، فكان يأكل بصمت ويشرب قهوته جرعة وراء جرعة ويدخن في هدوء سيكارة صغيراً.

قالت له ديانا:

«لم تكن تدخن».

«تغيرنا أنا وانت في سنة واحدة، انت أصبح شعرك قصيراً، وأنا صرت أدخن السيكارة. على كل حال عندي أسباب لذلك. ففي الأدغال، يساعد الدخان على إبعاد الذباب والبرغش. هل عليّ أن استأذنك قبل أن أدخن».

تشجعت أعصابها لكنها لم ترد، إذ قررت أن تحافظ على ضبط النفس بصورة تامة. وأضاف جايسون يقول:

«إذا انتهيت من الأكل، من الأفضل أن تذهب الآن، وجدت مكانين في طائرة صغيرة ستغادر كيتو عند الظهيرة. هل هناك شيء تريدين القيام به قبل مغادرتنا كيتو؟» أجابت بتعجب بعد أن تذكرت:

«أه، لقد نسيت كلياً... كان من المفروض أن أتناول طعام الغداء اليوم مع ماريا سواريز سيق لوالذي أن دعا السينيور سواريز إلى لندن، ونحن الآن ضيوفها».

«أعرف، أما زلت تعملين عند الصديق باجي؟»

تعجبت ديانا أن جايسون ما زال يتذكر اسم محل الألبسة الصغير الذي تعمل فيه، كانت تظن أنه نسي كل شيء يتعلق بها. «نعم... اني ناجحة في عملي، والثياب التي اصممها تباع بكثرة».

ومن دون وعي، كانت تحاول اقتاعه أنها لم تمض تلك السنة في انتظاره، أو في اليكاه.

قال جايسون:

«لماذا جئت إلى هنا مع والدك؟»

فكرت ديانا أنها الطريقة الفضلى للتحديث عن الطلاق، لكنها

لم تكن قادرة على الاقدام على هذه الخطوة. اجابته بتوتر:  
«كنت أنوي ان امضي عطلتي في مكان ما. فطلب مني والدي ان  
ارافقه. وكنت احب التعرف الى اميركا الجنوبية. لست نادمة ابداً.  
انها منطقة رائعة.»

سألها باسترخاء من دون ان يحول نظره عنها:

«هل تحبين كيتو؟»

اجابته مبتسمة:

«كثيراً. اعتدت على العلو الشاهق. اني اشعر بأني في بلد ساحر.  
«عندما تشاهدين الأدغال، سترين انها أكثر سحراً. واذا بقيت هناك  
بعض الوقت، ستتغيرين كلياً.»

ماذا يقصد بذلك. هل ان عمله في قلب الأدغال جعله يتطوراً  
ونظرت اليه ولاحظت التجوّف تحت عينيه. فكان يبدو كأنه غامر  
تجربة قاسية جداً.

نهضت ديانا وقالت:

«يجب ان اعلم ماريّا بالأمر»

«هذا سهل جداً. سمرّ عليها قبل ذهابنا الى المطار اذهبي واحضري  
حقائبك. وغيري ثيابك. لأن ثوبك هذا ليس لائقاً بأمرأة ذاهبة الى  
قلب الأدغال. وستضعين بقية اغراضك عند ماري».

«يبدو انك تعرفها جيداً.»

«نعم. اني اعرفها جيداً. هيا. لا تتأخري.»

وفي السيارة، كانت ديانا تتأمل وادي كيتو، والمنازل ذات  
السقوف المبنية من حجارة الفرميد الاحمر. والقباب المستديرة للأديرة  
والكنائس القديمة. فجأة قالت ديانا:

«سيكون من الصعب جداً ان تشرح لماريّا اننا متزوجان، واننا...»  
اجابها وهو يسرع في القيادة:

«واننا... ماذا؟»

«واننا مفترقان.»

سألها في سخرية:

«وهل نحن مفترقان حقاً؟»

«كيف تفسّر اننا لم نعش مع بعضنا منذ أكثر من سنة.»

اجابها بجدّة:

«لم نعش مع بعضنا كما يجب قبل ذلك أيضاً. على كل حال. ماريّا  
انسانة متفهمة. انا سبق واخبرت سانشو عن وضعنا. ولا بد أنه أخبر  
ماريّا بذلك. سيتساءل ان لماذا نتصرف بهذه الطريقة لكن. من  
ناحية أخرى، انها شخصان متسامحان. ويقبلاننا كما نحن. من دون ان  
يقترحا أي سؤال. وهذا ما يعجبني فيهما.»

وفهمت ديانا ان جايسون اراد ان يجعلها تلاحظ انها غير قادرة  
على ان تقبل الناس كما هم. من دون اسئلة.

وصلت السيارة بهما الى قلب المدينة. المارة يتجمعون على الارصفة.  
رجال اعمال انيقون، جنود بالبذلة الرسمية، تلاميذ واقفون في الصف.  
ربات المنازل يتأبطن السلال. هنود يرتدون معطف البوتشو المختلف  
الالوان. والقبعات المحاكاة من القش المحلي.

كان جايسون يقود السيارة في الشارع الرئيسي بعدما راح يعبر  
طرقاً صغيرة ماراً تحت رواق مزين بالفاكهة والازهار. ثم توقفت  
السيارة في الساحة الكبرى التابعة لمنزل عائلة سواريز. وهو منزل  
رائع من الطراز الاسباني.



سمعت ديانا صوت المياه وزقزقة العصافير المتجمعة حول المياه.  
ولاحظت كثافة المزروعات: اشجار الليمون في جوار الصبار، وكذلك  
شجر النخيل الذي يعكس ظلاً مبعثراً على الأرض المبلطة بالفسيفساء.  
وفي كل مكان من المنزل كانت ترى النباتات المتصلفة على الجدران  
البيضاء، المحملة زهوراً حمراء وصقراء.

قالت ديانا بسحر:

«إنها من الأماكن المفضلة لدي».

أجابها جايسون:

«وأنا أيضاً، أحب هذا المنزل كثيراً».

انفتح الباب الخشبي القديم المنحوت، وظهرت ماريلا ستواريز. إنها  
امرأة نشيطة، مرحة ومليئة بالدفء. راحت بسرعة نحو جايسون  
وقبلته قائلة:

«جايسون، صديقي، كيف حالك؟»

أجابها بالاسبانية وهو يشير نحو ديانا. عانقتها ماريلا وقالت:

«آه، ديانا، اني أسفة جداً لما حصل لوالدك. ماذا تتوین فعله؟»

اجاب جايسون:

«انني اصطحب ديانا الى بونو حتى ترى والدها اليوم. وستقلع

الطائرة عند الظهر».

قالت ماريلا وهي تهز رأسها موافقة:

«حسناً. هكذا يجب ان تتم الامور. عندما يكون هناك مشاكل، فنحن

كلنا في حاجة الى الذين نحبهم. تفضلوا وادخلوا الى المنزل، ما رأيكما

بفتحجان قهوة قبل رحيلكما».

سألها جايسون:

«هل يمكنك ان تؤدي لنا خدمة بسيطة، يا ماريلا؟»

اجابت ماريلا:

«بكل سرور. ماذا تطلبون مني ان افعل؟»

«هل يمكن لديانا ان تضع عندك جزءاً من حقائبها، من اجل ان تضع  
ثقلها في الطائرة؟»

«طبعاً. بوسعك ان تضع الحقائب في الغرفة التي سكنت فيها، يا  
صديقي. سنأخذ القهوة في قاعة الاستقبال. رايون هنا في المنزل  
واعتقد انه يحب ان يراكما».

كانت الغرفة التي سكن فيها جايسون تطل على الحدائق  
المزروعة بجميع انواع الفاكهة المحلية. وكان اثاثها فاخراً.

قالت ماريلا وهي تساعد ديانا على اختيار الفساتين التي  
تنوي اخذها معها الى بونو.

«جايسون، بقرينك سيساعدك لترتب امورك وتحل مشاكلك، كما

يفعل الزوج الصالح».

تلعثمت ديانا وهي تقول:

«لا بد أنك استغربت اني... اني لم احدثك عنه».

«هذا لم يفاجئني! انني اعرف كيف يحتفظ الانكليز بمشاكلهم لأنفسهم.

لقد ادركت انك زوجة جايسون، لأنك تحملين اسم عائلته».

«لم اكن اعرف انه موجود في الاكوادور. لم يقل لي ابي شيئاً بهذا  
الخصوص».

اجابتها ماريلا وهي تبسم:

«لكن والدك يحبك كثيراً، يا عزيزتي. وهو قلق عليك أكثر من اللزوم».

اجابتها ديانا:

«صحيح؟ هل كنت تعرفين أن جايسون متزوج؟ هل أخبرك بذلك؟»  
«نعم، كنت أعرف أنه متزوج، لكن ليس جايسون الذي أخبرني  
بذلك، لم يكلمني عنك منذ أن عرفتته، وحتى عندما سكن عندنا بعد  
الحادث الذي أصابه»  
«حادث؟ أي حادث؟»

تذكرت ديانا فجأة آثار الحروق التي رأتها على جسم  
جايسون الليلة الفائتة.  
أجابتها ماريًا بتعجب:  
«لم تسمعي بالحادث؟ ألم يخبرك جايسون بالحادث الذي تعرض له؟  
آه، اني لا ارى داعياً لهذا الكتمان. نحن، شعب اميركا اللاتينية،  
لا يمكننا أن نفهمكم ابداً، انتم الانكليزا»  
سألتها ديانا بالماح:

«ارجوك، أخبريني ماذا جرى له؟»  
قالت لها ماريًا وهي تدلها الى السرير المغطى بالحرير الثمين:  
«تعالى واجلسي هنا لحظة».

«حدث ذلك بعد مجيئه الى هنا بأسبوعين تقريباً. لقد تهدم بئر من أبار  
النفط، وبقي احد الرجال تحت الانقاض. حاول جايسون أن يرفع  
قضبان الحديد لينقذه، لكن احدى القطع الكبيرة سقطت عليه. واعتقد  
الجميع انه قتل. في كل حال، لو لم يكن يتمتع بقوة ومناعة، لما  
استطاع أن يقاوم الآلام التي عذبتة بضعة شهور وكان قضى نجه  
لازم الفراش لمدة ستة أشهر. وخلال فترة النقاهة، كان يسكن هذه  
الغرفة. آه، ما كان يجب أن أخبرك، أراك شاحبة اللون. ارجو ألا يقني  
عليك»

«أنا على ما يرام، أؤكد لك ذلك. اكملني، ارجوك. لماذا جاء يسكن هنا؟»  
«كما تعرفين، سانشو، زوجي، له مصالح في الشركة النفطية حيث  
يعمل جايسون. وسبق له أن تعرف الى والد جايسون وتذكر  
وفاته المؤسفة في بلادنا. عندما ذهب سانشو الى المستشفى لزيارة  
زوجك، خيل اليه أن شيئاً ما يدور في رأسه لم يعجبه. كان يائساً ومن  
الصعب أن يشفى تماماً اذا بقيت معنوياته هابطة. وعندما أخبرني  
رامون بذلك، طلبت منه أن يقترح عليه السكن عندنا. فقد كنت اهتم  
به كل الاهتمام، بمساعدة ابنة اخي روزا. تكلمنا عن اشياء كثيرة،  
لكنه لم يلمح الى وجودك بأية اشارة. ما الذي جعلكما حزينين هكذا، يا  
ديانا؟»

«لقد تشاجرنا».

«تشاجرنا؟ هه هه! سامحيني اذا ضحكت هكذا، لكن ماذا تعني  
المشاجرة؟ سانشو وأنا، غالباً ما نتشاجر، لكننا نتصالح دائماً،  
وبسرعة».

أجابت ديانا:

«لكن في مثل وضعنا، كانت الأمور حساسة للغاية، أن كذب  
جايسون عليّ. لم يكن قد مضى على زواجنا أكثر من تسعة أشهر،  
عندما اكتشفت أن هناك امرأة أخرى...»

توقفت فجأة عن الكلام، بعدما أدركت أنها ذهبت بعيداً في  
الاعتراف.

أجابتها ماريًا بصوت ناعم:

«أنا أفهمك، أنت تتعذرين، وبسبب هذا العذاب أردت أن يتعذب هو  
بدوره ثم هناك عنفوانك. يا للأسف، لأن جايسون في حاجة الى



دفنك وإلى نعومتك. اني أمل ان يفتح قلبك له من جديد، وان تحببه من جديد. هيا بنا تناول القهوة. ان رامون يصبر على لقاءك»  
دخلا قاعة الاستقبال وكان رامون في انتظارها. انه رجل نحيف، ذو شعر اسود وملامح ناعمة تقدم من ديانا، التي فوجئت، اذ راح يقبل يديها بشغف كبير ويقول بنبرة مسرحية:  
«اني آسف جداً»

«لماذا؟»

اجابها وهو ينظر الى جايسون:

«الأنى علمت الآن انك زوجة جايسون، هذا الانسان الرائع».  
«لكن كنت تعرف اني امرأة متزوجة، لا بد ولاحظت خاتمي».  
«نعم، لكنني اعتقدت انك أرملة، لم تخبرينا عن زوجك».

سمعت ديانا صوت جايسون يناديها من الغرفة المجاورة:  
«ديانا، هل انت مستعدة؟ اقترِب جايسون من رامون وقال له مازحاً:

«لا تتعب نفسك، يا صغيري، السيدة ليست في سنك».

«لم اعد ولداً صغيراً اني رجل مثلك».

«اتعتقد ذلك؟ يبدو لي انك ما زلت متعلقاً بشباب امك».

قالت ديانا لجايسون وهي في السيارة:

«ما كان يجب ان تسخر من رامون. كان يريد المزاح فقط».

«الم تنتهي ان رجلاً من عمره من السهل ان يقع في شرك الغرام. انه

يفتش عن المرأة المثالية. ومن الممكن جداً ان يتصور انك انت تلك

المرأة. الا تعرفين انك تجذبين الرجال، خاصة بعدما نضجت بعض

الشيء».

«انا لست أكلة الرجال».

«في كل حال، انت تحبين ان يغازلوك الرجال. انا، الذي اعتقدت انك امرأة رائعة، عندما تعرفت عليك، احسبت بخيبة الأمل».

كلامه هذا كان صدمة لديانا، فراحت تفرز اظفارها في كففيها. فهي تتعذب لما يقوله الآن.

غادرت السيارة المدينة ودخلت في طريق غريض تصل بهما الى المطار. ومن بعيد بدأت تظهر مراتب الطائرات، وفي الأعلى برزت الجبال الخضراء التي كانت ترى بوضوح تحت سماء زرقاء خالية من الغيوم.

شعرت ديانا بالألم يبدأ في داخلها. لماذا هي وحدها تتعذب؟ كل الكبت الذي تراكم خلال ١٥ شهراً، انبثق ثانية وانهمر عليها كالخم التي يقدحها البركان عند ثورانه.

قالت ديانا غاضبة:

«لم تكن الوحيد الذي احسب بخيبة أمل. انا التي لم أكن سوى فتاة مسكينة عاطفية تتعلل بالاوهام. وقعت في غرام رجل اعتقدته صادقاً، كما تصورت انه يحبني كما احببته واعتقدت انك عندما تزوجتني، كنت مستعداً للتخلي عن حريتك، لكن لم تكن مؤهلاً لذلك. فلم يكن في نيتك التخلي عن أي شيء لتصبح زوجاً كما يجب، ولم تتصرف معي كما لو كنت زوجتك. لم أكن بالنسبة اليك غير امرأة كئيبة النساء، عهديتك، تلك التي تأتي لزيارتها في لندن، من وقت الى آخر».

اجابها بحدة:

«هذا غير صحيح».

«اذن، لماذا ذهبت هكذا، بغتة؟ لماذا لم تكتب لي تقول أين انت؟ لم

تكن تريدني؟ أو لأنك كنت سعيداً للغاية لأنني أعطيتك فرصة الانفصال عني»

شعرت ديانا بالازعاج وسكنت وراحت تحديق بالطريق أمامها من دون أن ترى شيئاً. كان قلبها يخفق بسرعة. واقتربت السيارة شيئاً فشيئاً من ابنية المطار، ثم دخلت الباحة المخصصة لوقوف السيارات ووقفت في إحدى المواقف قرب السيارات الأخرى. وبهتوتام، انقل جايسون بمحرك السيارة. ووقع الصمت المزعج بينهما.

القت ديانا نظرة جانبية إلى جايسون. كانت يده ممسكة بمقود السيارة. قالت لنفسها واصبها وجهاً لوجه. كان وجهه قناعاً لا يمكن اختراقه.

قال أخيراً في نبرة ساخرة:

«اذن، هكذا تنظرين إلى الأمور. اني اعرف جيداً من الذي ساعدك على تبني هذا الرأي. صديقتك العزيزة، أونيس فهي غيرة منك لدرجة انها تعمل كل جهدها لاتهامي امام عينيك...»

تلعثمت ديانا وراحت تدافع عن صديقتها:

«لم تقل... اعني، لم تكن...»

لكنها اضافت بفضول:

« أونيس، تغار مني؟ ما تعني بذلك؟ لماذا تغار مني؟ »

«لست انا الذي سوف أشرح لك ذلك. لكنني احب ان تعرفي اشياء كثيرة. عندما ذهبت بغتة، كما تقولين، جئت إلى هيوستن. وهذا ما قلته لك. ومن هناك جئت توأ إلى كيتو لأحل مكان وكيل المدير الذي يختص بالابحاث. واتصور انك لن تصدقي ما سوف اقله الآن. كنت اريد ان اكتب اليك واطلب منك ان تأتي إلى هنا. وكنت وجدت

لنا منزلاً في المدينة، وهكذا نكون معاً كلما اعود من الأدغال. لكن قبل ان اجد الوقت للكتابة، كان علي التوجه إلى الأماكن حيث تجري الابحاث، وذلك من اجل تصفية إحدى المشاكل. وهناك، حدث شيء ما منعني من تحقيق هذا المشروع».

«الحادث. اعرف، اخبرني ماريا اليوم».

وشعرت ديانا بالألم عندما تصورت جريحاً وهي عاجزة عن فعل أي شيء لمساعدته او الاهتمام به.

تابع جايسون كلامه كأنه لم يتوقف:

«ولما بدأت صحي تتحسن وصرت قادراً على الوقوف، وصلت رسالتك. وبسبب التأخير في البريد، بقيت الرسالة في الطريق أكثر من ثلاثة اشهر».

توقف لحظة: وأخذ نفساً عميقاً ثم تابع:

«أعرفين بماذا فكرت عندما قلت لي في رسالتك انك مستعدة لتسامحيني. بالنسبة إلى هذا يعني انك فقدت الثقة بي، وانك ما زلت تعتبريني دجلاً محتملاً. وبما انك تنظرين إلى علاقتنا بهذا المنظار، فأنا لا أريد هذه العلاقة. ولهذا السبب رفضت الاجابة على رسالتك. وكنت أمل ان تتضجعي ذات يوم، وتنظري إلى الاشياء بعين مختلفة، أو...»

توقف عن الكلام ثم ما لبث ان اضاف بصوت قاتم:

«وان تطلبي الطلاق».

ان فكرة الطلاق التي حاولت ان تكتنئها في اعماقها، طفت إلى السطح وبدأت بشعة. وغريزياً حاولت ديانا ان تبعد هذه الفكرة لأنها ادركت انها لا تريد الطلاق بالفعل.

قالت بصوت منخفض:



«اني أسفة للحادث الذي أصابك، والآلام التي عانيت منها. لو فقط أخبرني احد بالأمر...»

أجابها برارة:

«ماذا كان حدث؟»

«كنت أخذت الطائرة والتحققت بك...»

«لتمسكي بيدي وتقولني انك سامحتني؟ لا شكراً».

ادارت ديانا وجهها حتى لا تدعه يرى الدموع التي بدأت تتساقط

تابع جايسون:

«ارجو ان تفهمي ما كنت احاول قوله. لا اريد منك ان تسامحيني لست في حاجة لأن احصل على الغفران. ليس عندي شيء أخذه على نفسي».

«لكنك رفضت ان تقول لي لماذا ذهبت الى باريس. انه شكل من أشكال الكذب، أليس كذلك؟»

وفي عنف، فتحت باب السيارة وخرج منها. ثم انحنى قليلاً وقال لها من خلال النافذة:

«ما الجدوى من الكلام. ارجوك ان تخرجي من السيارة وان تسرعي لأنه اذا بقينا هنا نتجادل، فلن نستطيع ادراك الطائرة التي لن تنتظرنا بالطبع. هيا اتبعيني»

## ٤ - عالم جايسون

وعندما شاهدت ديانا الطائرة التي ستأخذها الى بونو، ادركت لماذا اصر جايسون الا تأخذ سوى حقيبة واحدة، انها طائرة صغيرة بمحركين، لا تنقل سوى ستة مسافرين. طلب جايسون من ديانا ان تضع حزام الامان. ليس في الطائرة مضيقات، وكل مسافر مسؤول عن نفسه.

وبعد دقائق قليلة، أقلعت الطائرة وحلقت في مضيق عميق بين جبلين. وبعداً في نهاية المضيق، سيل صغير يتدفق مثل خيط رفيع فضي ضائع في وسط كتلة خضراء.

داخل الطائرة، تجلس قرب ديانا فتاة في العاشرة من عمرها، تبدو من أصل هندي، وهناك رجل وامرأة يحمل طفلاً. وجايسون يتحدث مع رجل أبيض يبدو انه على معرفة وثيقة به.

بدأت الطائرة بالهبوط تدريجياً نحو عمق المضيق الذي راح يتسع شيئاً فشيئاً. ثم اصبح السيل المائي نهراً.

لاحظ جايسون اهتمام ديانا بالمنظر الذي يحلقون فوقه، فقال لها شارحاً:

«انه نهر نابو، احد روافد نهر الأمازون. قام والدي بابحاثه على بعد قليل من هنا، أكثر شمالاً».

سألته ديانا:

«هل غرستم على البترول؟»

شعرت بالغبطة عندما أدركت أنها المرة الأولى التي تدخل فيها إلى عالم زوجها، هذا العالم الذي كان يبعدها عنه، عندما كانا يعيشان معاً في لندن.

أجابها جايسون:

«نعم. والآن نفتش على البترول في الجنوب. ونأمل في إيجاد طبقة تكون امتداد للنش اكتشفها والدي.»

«الم تعثروا على شيء بعد؟»

«بلى، لكننا ما زلنا في حاجة إلى القيام باستكشافات وتحاليل كثيرة والذي عمل هنا لعدة سنوات.»

تساءلت ديانا في نفسها إن هناك ولا شك مسألة مهمة. لقد أخبرها إن في نيتهم البقاء هنا في الأكوادور. وإذا بالطائرة تنتفض وتدخل في جيوب هوائية.

راح الطفل يبكي والفتاة الصغيرة ترتجف خوفاً. أمسكتها ديانا بيدها، تشد عليها. فارتفعت الفتاة. استدار الطيار وتفرغ بغير الكلمات الهندية ونظر إلى الركاب بعينين مطمئنتين. فارتاح هؤلاء إلى ما سمعوه.

قال جايسون لديانا:

«قبطان الطائرة اسمه تيد تورنر. وهو في الوقت نفسه طبيب. لا يمكنه أن يتصورى مدى إخلاصه وتفانيه تجاه الهنود. لقد انتشر بين القبائل وباء الحصبة الذي أدخله البيض معهم. ويقوم تيد وأصدقاؤه بأدخال اللقاحات إلى الأدغال ويعالجون السكان بأنفسهم. وهذا طريقة جيدة لاقتناع الهنود بأن البيض ليسوا كلهم رديين.»

قالت ديانا وهي تنظر إلى الغابة المليئة بالأشجار:

«من هنا يبدو الدخول إلى الأدغال صعباً.»

«كلا. إنها ليست كذلك. في الماضي كان الناس يتجمعون على ضفاف النهر، قبل أن يجلب الأسبان الأمراض معهم. إن أسلاف هذه الفتاة الجالسة إلى جانبك عاشوا هنا عدة سنوات، وكانوا يحمون أنفسهم ضد الغريب باستعمالهم الأسهم الصغيرة المسمومة. وبعضهم ما زالوا يستعملونها إلى اليوم. انهم الهنود الجيفارو. ويزيرونهم الأساسية هي التوصل إلى جعل الرأس البشرية في حجم برتقالة.»

نظرت ديانا إلى الفتاة وقالت:

«أه، لا. يا إلهي!»

قال جايسون وهو يضحك:

«لا تخافي، إن معظم الهنود اليوم يلجأون إلى التقاليد نفسها. فالرجال، مثل تيد، جعلوا بعضهم بالفوننا. ستهبط الطائرة بعد دقائق قليلة. ونحن وحدنا سنذهب إلى بونو، مع الباحث الجالس قبالي. وتيد سيوصل العائلة الهندية إلى بلدتها مع الأدوية. كان الطفل يشكو من مشاكل في الجهاز الهضمي، فأخذهم تيد إلى كيتو وأجرى للطفل عملية جراحية. والظاهر إن الجراحة نجحت والولد في صحة جيدة.»

لوجت ديانا باهتمام جايسون بأهل البلد، لكنها تجنبت أبداً أي ملاحظة حول هذا الموضوع.

حطت الطائرة في مدرج مطار صغير كان الهواء ساخناً ورطباً، وملابس ديانا تلتصق بجسمها.

فجأة ظهرت في السماء طائرة هيلكوبتر، تشبه التين الضخم، شيء غريب في هذا الديكور المتنوع. وما إن هبطت إلى الأرض حتى خرج الرجال في بذلات عملهم وتوجهوا نحو المرائب.

صعد الجميع في شاحنة كانت في انتظارهم، فتبعهم جايسون



وديانا. تحركت الشاحنة متوجهة نحو مدينة بونو.

ولدى دخول الشاحنة قلب المدينة، اكتشفت ديانا أن بونو مدينة حقيقية، تشبه المدن الصغيرة، وأبهرتها من الطراز الإسباني. عندما كانت لا تزال في الطائرة كانت تتوقع أن ترى بعض الأكواخ المشورة هنا وهناك في قلب الأدغال. كانت المنازل قديمة العهد، من أيام الاستعمار، جدرانها مطلية بالكلس الأبيض وسفوفها مبنية من حجارة القرميد، وأعلى بناء في هذه المدينة كنيسة فوقها برجان يطلان على بقية المنازل. وهنا وهناك، بعض البيوت الحديثة العهد المؤلفة من طابق واحد.

قالت ديانا وهي تلتفت نحو جايسون:

«لم أكن أتصور أن بونو مدينة بهذا الاتساع».

«هذه المدينة تتطور بسرعة، بسبب الأبحاث التي تجري لاكتشاف البترول. كذلك صناعة السكر من القصب السكري. وعائلة ماريا تملك معامل عدة. ويمكنك أن تقرأي اسم عائلتها قبل الزواج على عدد لا بأس به من المياني هنا: معامل غييارمو. وكذلك هناك السجائر الذين يأتون دائماً. البعض يقول أن بونو هي مدخل الأدغال».

دخلت الشاحنة ساحة ضيقة حيث تنتصب كنيسة صغيرة. وفي الجهة المقابلة بناية من الخشب واجهتها مزينة بكلمات منقوشة بأحرف مصنوعة من النيون: الفندق الكبير.

أمر جايسون سائق الشاحنة بالتوقف أمام الفندق. وعندما دخل جايسون وديانا إلى مدخل الفندق كانت تنظر إليها امرأة هندية عجوز، على رأسها قبعة عريضة من القش، قربها سلة مليئة بالورق والليرون الحامض.

راح جايسون يشرح لديانا وهو يتسلى سلباً قديماً من الخشب

يصل إلى شرفة كبيرة تطل على المدينة.

«في هذا الفندق أنزل عادة. هل أنت جائعة؟»

«قليلاً، أني أشعر بالظما».

«سنضع حقبتك في غرفتي، ثم نأخذ طعاماً خفيفاً وبعدها أوصلك إلى المستشفى».

كانت صاحبة الفندق امرأة بديئة. استقبلت جايسون بابتسامة عريضة ورحبت بديانا في كلمات لطيفة.

في غرفة جايسون سرير عريض ضخم، وخزانة وطاولة. توافد الغرفة تطل على الساحة الصغيرة. وهناك حمام متصل بالغرفة القديمة العهد لكنها نظيفة والحمام أيضاً. دخلت ديانا وغسلت يديها ووجهها بسرعة ثم ارتدت فستاناً من القطن.

نظرا إلى غرفة الطعام وراحا يحتسيان عصير البندورة ويأكلان وجبة مؤلفة من الدجاج المطبوخ مع البصل والبندورة والفليفلة الخضراء، تقدم مع الرز.

بعد هذه الوجبة الدسمة، شعرت ديانا بارتياح وفرحت عندما اقترح عليها جايسون الذهاب إلى المستشفى مشياً على الأقدام.

المستشفى ليست بعيدة من هنا، ويمكنك أن تعودى إلى الفندق من دون صعوبة، أما أنا فليس في وسعي أن أبقى معك، هناك مشكلة في إحدى الأبواب الجديدة وأني مضطر أن أذهب إلى هناك في الحال، أي بعد إصالحك إلى المستشفى».

سألته وهي تحاول جاهدة أن تتصرف باسترخاء، ومن دون أن تجعله يلاحظ الخوف من أن تعجز نفسها متروكة وحيدة في هذا المكان المجهول.

«هل ستعود في المساء؟»

«لست متأكداً، لا تنتظريني».

حين خرجا من الفندق، بدأ المطر يتساقط امسك جايسون بذراع ديانا واسرعا نحو المستشفى. وهو بناء مؤلف من طابقين، وما ان وصلا الى باب المستشفى الزجاجي حتى راح المطر ينهمر بعنف يشبه العاصفة.

لم تر ديانا المطر ينهمر بهذه القوة كما تراه الآن. كأنها خيوطاً طويلة رمادية تصل السماء بالأرض. وتبدو الأبنية كأنها تقترب من بعضها البعض. الشارع اصبح مستنقعا كبراً من الوحل والماء.

استقبلت ديانا امرأة شابة ترتدي بذلة بيضاء وتتكلم باللغة الانكليزية بطلاقة:

«السينيور فارلي سيكون سعيداً لرؤيتك. لكنه متعب وما زال تحت تأثير الصدمة. فالضربة التي اصابته في رأسه كانت عنيفة للغاية».

سألته ديانا:

«اتعتقدين انه سيتمكن من العودة الى كيتو، قريباً؟»

«لا يمكنني ان اعطيك جواباً على سؤالك. عليك ان تسأل الدكتور ويلبي الذي سيحضر في الغد. ان غرفة والدك في الطابق الثاني،

الغرفة الثالثة يساراً في نهاية الممشى».

اجابته ديانا وهي تبتعد:

«شكراً جزيلاً».

ربت جايسون على كتفها وهمس قائلاً:

«ليس لدي الوقت لأرافقك. علي ان اعود الى المطار لأستقل الطائرة المقبلة».

في هذه اللحظة بالذات لم يكن امام ديانا سوى رغبة واحدة: ان

تنزع رأسها على صدر زوجها وتحيط خصره بذراعيها. رفعت رأسها وقالت بتوسل:

«جايسون، لا تذهب، ارجوك ان تبقى معي».

تردد قليلاً وتقلصت عضلات وجنتيه. لكنه سرعان ما استرخى ونظر الى الخارج حيث المطر ما يزال ينهمر. ثم قال لها بحزم:

«لا استطع».

«اذن، ارجوك ان تعود الليلة».

«لا يمكنني ان اعدك بشيء». هناك احتمال لأن اضطر الى التغيب اياماً عدة».

أجابته بلهجة يائسة:

«ربما غادرت البلاد قبل ان تعود؟ قد يشفى ابي بسرعة ونعود الى كيتو، فيماذا ستفعل؟»

استدار عنها وتوجه نحو الباب. شعرت ديانا بالذعر لمجرد التفكير بأنه يتركها من دون ان تعرف متى سيعود. تماماً كما حدث منذ سنة.

وأمام الباب توقف جايسون والتفت نحوها وراح يتأملها، كأنه يريد ان يرسخها في ذهنه. تشجعت ديانا واقتربت منه ووضعت يدها على ذراعه وهمست:

«أتوسل اليك، يا جايسون».

أجابها بمرارة:

«لماذا تتوسلين اليّ. هل تريدان ان اعدك بشيء يرضيك حتى تعاتبين اذا لم استطع ان ابر بوعدي. لا. ابدأ. هل تفهمني؟ اذا لم تكوني هنا عندما اعود الى بونو سوف اعرف ان كل شيء انتهى بيننا. ولن احاول البحث عنك. هل انا واضح؟ سلامي الى كريستوفر، وقولي له من جانبي انني اتقنى له الشفاء العاجل».



خرج جايسون بسرعة، وشاهدته ديانا يتعمد تحت المطر القوي، ثم اختفى. صعدت إلى الطابق الثاني وتوجهت نحو المشي الذي يقودها إلى غرفة والدها.

كانت غرفته صغيرة ونظيفة، وكان الهواء داخلها منعشاً، بسبب المكيف المعلق في سقفها. استقبلتها ممرضة تسهر على عناية كريستوفر فارلي وقالت وهي تبسم: «هذه أبنتك يا سيد فارلي».

ثم ابتعدت وقالت قبل أن تخرج من الغرفة: «ما زال تحت تأثير الصدمة. أرجوك ألا تبقي معه طويلاً وحاولي ألا تدعيه يتكلم كثيراً».

كان وجه كريستوفر شاحباً وعيناه تعكسان قسوة المحنة التي أصابته. كانت يده اليسرى مثبتة في الجص ورأسه ملفوفاً بضمادة لأخفاء جرح ما، من دون شك، حاول الابتسام ومدّ يده نحو ديانا. ابتسمت له بدورها برغم الدموع المنهمرة على خديها وقالت له مازحة:

«تبدو في أحسن حال».  
«كان حظي يفلق الصخر، لقد مات قبطان الطائرة، ولو لم يكن جايسون موجوداً هناك، لكنت في عداد الموتى».  
شعرت ديانا وكأن ركبتها تخوران وقالت:  
«آه، ماذا فعل لك؟»

«كان على أرض المطار مراقب عملية الهبوط وما أن تحطمت الطائرة حتى هرع ونجح في إخراجنا من داخلها، أنا ورجل آخر، قبل أن تنفجر الطائرة».

اغتمض كريستوفر عينيه من دون أن يترك يدها، وكانت الدموع

تتساقط بغزارة على وجه ديانا، وراحت تعض على شفثيها بقوة. فقد عرفت أخيراً لماذا كان جايسون متعباً للغاية في الليلة الفائتة. وادركت الآن مدى شجاعته وشهامته واندفاعه.

قال لها والدها وهو يراقبها من زاوية عينيه بنظرة ساخرة: «أظن أنك قرجنت عند رؤيته».  
«نعم، كثيراً! كنت تعرف أنه موجود في الأكوادور، أليس كذلك؟»  
«نعم، عندما لم تتلقي جواباً على رسالتك، رحت ابحت لمعرفة مكان وجوده».

«ولماذا لم تقل لي شيئاً بهذا الخصوص؟»  
«لعدة أسباب، أهمها أنني أكره التدخل في شؤون الآخرين. كنت على علم بالمشاجرة التي حصلت بينك وبينه قبل مغادرته البيت».  
«كيف؟ من أخبرك؟»

«جايسون، زارني قبل أن يتوجه إلى المطار، في اليوم نفسه. كان مضطرباً وأخبرني ما حدث. ولهذا السبب لم أقل لك أين هو. كنت أعتقد أن عليك أن تتعذري بعض الشيء وتدفعي ثمن عدم تفكيرك به».

اتعرفين يا حبيبتي، اني أعتقد أنك كنت على خطأ عندما فضلت تصديق أونيس بدلاً من زوجك».

«كلا. كنت أفضل مفاجأته، لكنني لم أكن انتظر منه تلك الصلابة. كان عليّ أن استعمل كل ما لدي من لطف لأتقاعه بالحقاق بك إلى كينو ليطلعك على الحادث. كنت أرى أنها فرصة حسنة لكما لتلتقيا من أجل وضع النقاط على الحروف. هل تحدثنا في الموضوع؟»  
اجابته وهي تهز رأسها:

«تقريباً في كل حال اعرف الآن لماذا لم يرد على رسالتي. لكن لا تتصور ابداً انه غير رأيه تجاهي. مرة ثانية ذهب. لا شيء تغير. كما في الماضي، اني، بالنسبة اليه، اقل اهمية من ابحاثه النفطية».

«هل سيعود؟»

«نعم، لكنه لم يقل لي متى».

«واين تسكنين الآن؟»

«في الفندق الكبير وسط الساحة».

«انه ليس المكان المناسب لامرأة وحيدة. عليك ان تنتهي جيداً. الرجال الذين يأتون الى المدينة بعد غياب طويل في العمل، داخل الادغال، لا يتصرفون دائماً في لياقة».

«لا تخف علي، فسأكون حذرة».

لاحظت ديانا والدها بدأ يتعب. فنهضت وازدادت:

«سأعود غداً لأراك، في الصباح حتى اكلم الطبيب. ربما سمح لك بالعودة الى كيتو».

تهدد كريستوفر وقال:

«اشك في ذلك. ما زال رأسي يؤلني وكذلك ضلوعي. ارجوك يا ديانا، لا ترهقي نفسك كثيراً في هذا الحز، وإلا تعرضت للمرض».

في الخارج كان المطر قد توقف عن المطول. وسحابة من الذباب تحلق في جميع الاتجاهات. اسرعت ديانا في خطواتها وتنفست بارتياح عندما دخلت الفندق. قالت لها صاحبة الفندق عندما رأتها تدخل:

«انزدين فنجاناً من الشاي؟»

«شاي؟ بكل تأكيد».

وبعد دقائق قليلة، حضرت ابريقاً من الشاي المغلي الى فاعة

الاستقبال وسألت ديانا قائلة:

«هل سيعود زوجك قريباً؟»

«ربما بعد بضعة أيام».

«انه رجل طيب ولطيف. هل تشاقين اليه عندما لا يكون في المنزل؟»

«...نعم، اشتاق اليه...».

«ان معظم الرجال الذين يعملون في المؤسسة النفطية غير متزوجين. بعضهم كانوا متزوجين لكنهم طلقوا زوجاتهم. لم أكن أعرف ان السينيور كلارك متزوج، لكن كان علي التكهّن بذلك. فقد قال لي يوماً انه ينوي شراء منزل في كيتو ليستقر فيه. ولكي يريد منزلاً فإنه حتماً يحتاج الى زوجة، أليس كذلك؟»

لم تكن ديانا تعرف ما تقوله. فاكتفت بهز رأسها موافقة، لكن كلام صاحبة الفندق جعلها مضطربة طيلة السهرة. هكذا اذن، فقد كان جايسون ينوي شراء منزل، ربما اشتراه، من يدري؟

وما ان عادت الى غرفتها حتى قدّدت على السرير. كانت حرارة الطقس ترهقها. فلم تقو على خلع ثيابها. راحت تصغي الى الضجيج الآتي من الخارج وإلى انغام عذبة منطلقة من قيثارة يعزف عليها رجل. بقيت ديانا ممددة على السرير فترة طويلة والعرق يتصبب منها باستمرار. أه كم تمنى لو ان جايسون يعود هذه الليلة.

لو لم يكن مضطراً للذهاب الى الادغال بعد ظهر هذا اليوم. لو بقي معها. لكان معها الآن، يحدثها عن مشاريعه، ويتجاذب معها أطراف الحديث، ربما كانا توصلا الى تفاهم وعادا الى حبيهما من جديد.

لقد اصطحبها والدها الى الأكوادور لثري جايسون من جديد وتناقش معه كل ما حدث بينهما. فهل ما تم حتى الآن، سواء في الفندق او على طريق المطار، يوضح الامور؟ على الأقل نجحنا في ان



يقياً نوعاً من الاتصال. لقد كانا صديقين وثقنا من التعبير عما يختلج في أعماقهما.

لماذا، أه لماذا بعثت بتلك الرسالة التافهة؟ لماذا لم تنتظر منه ان يكتب اليها أولاً، كما كان ينوي قبل ان يقع له ذلك الحادث. ربما كان كتب اليها في فترة نقاهته ليطلعها على الحادث، فتستقل اول طائرة لتأتي وتلتحق به.

لكن بدل ذلك، تسلم رسالتها وابت عليه كبرياؤه ان يرد. وبدلاً من ان تكون هي، زوجته، التي تعنى به خلال مرضه، كانت ماريلا سواريز وابنة اخيها روزا تقومان بالدور الذي كان عليها هي ان تقوم به.

لقد قال لها: «كنت مخلصاً على طريقي الخاصة» من الآن فصاعداً بدأت تصدقه. لو قال لها هذا الكلام قبل سنة، لكانت الاشياء مختلفة لكن هل كانت مستعدة لأن تصدقه في تلك الفترة؟

هي الآن نادمة لأنها سمعت كلام اونيس، ولكن كيف كان بإمكانها ان تتكهن بأن صديقتها تغار منها ولذلك كانت تتصرف في حقد. ولماذا كانت اونيس غيورة؟ بسبب بول؟ لقد قال لها جايسون انه يعرف لماذا تغار اونيس، وليس من المفروض ان تعرف السبب منه. ماذا يقصد بذلك.

لو كان موجوداً معها الآن، لكانت طرحت عليه هذا السؤال بالذات. لكانت سألته أيضاً عن رسالة كارول ولماذا سافر الى باريس لرؤيتها. انها مستعدة لقبول جوابه. أيّاً كان، من دون طرح أي سؤال. لكن جايسون ليس هنا الآن، لقد رحل مرة أخرى. وماذا لو تركت بونو قبل عودته، لقد افهمها بوضوح ان كل شيء سينتهي بينهما. انه لم يعد يريد هذا. لقد اعتاد ان يعيش من دونها. او ربما التقى

امرأة أخرى؟ لا بد ان ذلك صحيح. لقد تعرف الى امرأة ومن اجلها يحاول شراء منزل في كيتو. امرأة يتزوجها بعدما يتم الطلاق منها. أليس هو اول من ذكر كلمة الطلاق.

لقد تأكدت الآن بعد ما رأت جايسون من جديد، وبعدما امضت برفقته بضعة ساعات أنها تحبه حباً كبيراً، وانها ملكه جسداً وروحاً. واذا حدث ما يجعلها عاجزة عن ان تكون زوجته من جديد، فان الحياة لن يعود لها بالنسبة اليها اي معنى.

استيقظت ديانا وهي تشعر بجفاف في حلقها، وبصداع عنيف. نهضت من فراشها، واخذت حماماً، ثم ارتدت فستاناً قطنياً، وتناولت فطور الصباح بشهية وتوجهت الى المستشفى.

كان الهواء ثقيلًا، لكن الطقس جميل. برك ما تجمعت من الامطار تعكس السماء الزرقاء. وعلى اشرطة الكهرباء والهاتف تحيط العصافير الخضراء اللون وتفرق بفرح.

في المستشفى تعرفت الى الطبيب الذي يهتم بعلاجها والدها. انه شاب اميركي هادئ.

قال لها:

«لن اسمح له بالذهاب الى كيتو، في الوقت الحاضر. فهو في حاجة الى الراحة والهدوء. والسفر سيرهقه كلياً».

وراح الطبيب يتأملها بنظراته السريعة ثم قال:

«هل وجودك هنا في بونو يشكل اية مشكلة؟ اذا سارت الامور على ما يرام، فيمكن لوالدك مغادرة البلاد والعودة الى انكلترا خلال اسبوع».

«اتفقنا يا دكتور، سأبقى هنا».

«شكراً، هل تريد ان تلتقي من جديد في أواخر الأسبوع؟»

«بكل تأكيد»

هذا يسمح لها بالبقاء بعض الوقت، على جايسون يعود. يمكنها ان تراه وربما توصلا الى اتفاق.

«أظن انك معلقة ضد الأمراض الأساسية... الحصبة والكوليرا والتيفوئيد والتيتانوس والملاريا».

«نعم».

اعطاها الطبيب بعض الأدوية الوقائية، ونبهها ألا تشرب من ماء الحنفيات، وان تكافح تصيب العرق بالاغتراس مرات عدة خلال النهار.

توجهت ديانا الى غرفة والدها، وبلغته ان عليه البقاء اسبوعاً على الأقل في بونو.

«قلت لك ذلك، في كل حال، انهم يعالجونني ويعتنون بي جيداً. ان الشيء الوحيد الذي يقلقني، هو انت. هل انت مرتاحة في هذا الفندق؟»  
«نعم، ان صاحبتة انسانية لطيفة وهي تعرف جايسون جيداً».

«ما هي مشاعرك تجاهه؟ اما زلت تنوين الطلاق؟»

«كلا، اكتشفت اني ما زلت احبه وانى اريد ان ابقى زوجه. لن أتزوج بول. لكن جايسون يقلقني، يا أبي. يبدو شديد التصلب».

«بصراحة يا ابنتي، انا لا أستغرب موقفه. لقد نهتكَ وقلت لك ان العيش معه ليس سهلاً. وبما انك لم تثقي به، فقد لمست النقطة

الحساسة لديه. يعني اني متأكد انه لو تنازلت عن كل شيء ولحقت به، ذلك اليوم، لأخذك معه الى هيوستن. لكن الأمور تغيرت كلياً. واتصور ان ذلك مرده الى تلك الرسالة التي بعثت بها اليه. ماذا كتبت له بالفعل».

تلعثمت ديانا. وهي تقول :

«قلت له فيها انني اسامحه».

«لقد ارتكبت خطأ كبيراً، يا حبيبتي».

«لم اكن اعرف ما اكتب له. لو عرفت فقط اين كان موجوداً، لكنت أخذت الطائرة ولحقت به. لم اكن في حاجة لأن اكتب تلك الرسالة التافهة. على كل حال، انت الذي نصحتني بكتابتها».

تنهد والدها وقال :

«هذا صحيح. لكنني لم اكن اعرف الى اي درجة كنت تستخفيين بالوضع الذي كنت فيه. لو كانت امك بيننا، لكانت قدمت اليك النصائح اللازمة...»

«ارجوك، يا أبي، لا تنهني. انت على حق. لم اكن ناضجة بما فيه الكفاية. لكن الآن، اعرف ان الزواج ليس فقط...»

تلعثمت ديانا وعضبت على شفيتها ثم تابعت تقول :

«أخشى ان اكون قد جئت متأخرة. لدي احساس بأن جايسون وجد امرأة اخرى، وانه لم يعد يريدني».

أجابها كريستوفر فارلي وهو يتسم :

«يمكنك ان تعرفي الحقيقة ببساطة».

سأله ديانا بتعجب :

«كيف؟»

أجابها وفي نظره لمحة ساخرة :

«ما عليك إلا ان تسأليه».

خلال اليومين التاليين وبرغم حرارة الطقس الملتهبة التي تسيطر على بونو، امضت ديانا ساعات رائعة مع والدها وبمجموعة الأطباء الشباب والمرضات الذين يعملون في المستشفى ويعتنون بصحة والدها. كانوا يعالجون في الوقت نفسه العاملين في المؤسسة النفطية



وسكان المدينة. اتهم مركز دائم للمعالجة المجانية. يعمل ليل نهار، مما يتيح للهنود تلقي العلاج اللازم.

في الفندق كان الوقت يمر بهدوء. لقد توطدت العلاقات بين ديانا وجيردا شوارتز. صاحبة الفندق، وهي من اصل الماني. جذرت هذه الاخيرة ديانا من الرجال الذين يتسكعون في شوارع بونو خلال الليل. وفهمت ديانا لماذا اختارها جايسون هذا الفندق بالذات. كان يعرف تماماً ان جيردا سوف تحميها من كل الأخطار الممكنة. وارتاحت لمجرد التفكير بأن زوجها ما زال يهتم بمصيرها، مما جعلها تستنتج ان حبه لها لم يزل قائماً.

وفي احد الايام. وبينما كانت ديانا تستعد للتوجه الى المستشفى، توقفت سيارة كاديلاك سوداء امام الفندق. قفزت جيردا من مكانها وقالت في تعجب باللغة الالمانية: «يا الهي! انه لويس غييارمو!» سألتها ديانا:

«من يكون؟»

«أعني رجل في البلاد. اتساءل ماذا جاء يفعل هنا؟»

فتح السائق باب السيارة التي تحلق حولها الصبيان الهنود وتزل منها رجل اسمر. شعره الاسود مشط الى الوراء يرتدي بذلة رمادية أنيقة. وتقدم نحو الفندق.

وما ان دخله حتى توجه نحو ديانا. ومن دون تردد، انحنى يقبل يدها. فوجئت ديانا التي كانت تنظر اليه وعلى وجهها علامة استفهام.

«اسمي لويس غييارمو، سيدة كلارك. اني شقيق السيدة ماريا سواريز. طلبت مني شقيقتي ان ازورك بها انا هنا.»

كانت ديانا تنظر اليه مفصلاً في قُضول غريب. كانت ابتسامته ساطعة تشبه ابتسامة ماريا، لكنها لم تكن دافئة مثلها. كان يرمقها بنظرة ثابتة وعيناه الرماديتان تلمعان تحت حاجبيه. انه في حوالى الخامسة والاربعين من عمره، جميل المنظر وجذاب، ويبدو واثقاً من نفسه تمام الثقة.

اجابته ديانا بتحفظ:

«اسعدني التعرف اليك، يا سيدي.»

«والدك، هل تحسنت صحته؟»

«ان صحته تتحسن يوماً بعد يوم.»

«عظيم، اود ان ازوره، اذا كان ذلك ممكناً.»

«طبعاً. سيكون مسروراً على التعرف اليك. أنا ذاهبة الآن الى المستشفى.»

«في هذا الحال، اسمحي لي بمرافقتك في سيارتي.»

بعد تردد قصير، صعدت ديانا الى السيارة. وكذلك لويس غييارمو.

سألتها لويس في سخرية:

«اين هو الآن، هذا الانسان المتغطرس، اعني جايسون؟»

«لم اكن اعرف انك تعرفه.»

«رأيتُه مرّات عديدة في كيتو، عند آل سواريز كما جاء الى مزرعتي وامضى فيها عدة ايام. لكنني لم اكن اعرف انه متزوج وزوجته بهذا الجمال الفاتن. اني اتساءل فعلاً لماذا لم يكلمنا عنك ابداً؟»

لم تكن ديانا تعرف ماذا تقول، ففضلت التزام الصمت كيف يمكنها أن تشرح لهذا الرجل الغريب تصرف جايسون الفريد؟ اكتفت بأدارة وجهها والنظر من خلال النافذة بصمت.

وصلت السيارة امام المستشفى وتوقفت. فتح السائق الباب الخلفي.  
خرج منه لويس أولاً وساعد ديانا على الخروج.

وكما كانت تتوقع فقد فرح والدها بزيارة لويس، ودارت الاحاديث  
حول حادث الطائرة وحول فترة النقاهة. وإذا بلويس يقول:  
«اسمح لي ان اقترح شيئاً. يسعدني ان اصطحب ابنتك الى مزرعتي  
يوماً او يومين. هل تسمح لي بذلك؟ انه افضل لها من البقاء وحيدة في  
هذا الفندق. وانا مثلك يا سيدي. رجل ازمحل وابنتي روزا تعيش  
معي. انها اصغر من ديانا بسنوات قليلة. لكنني اعتقد انها ستكون  
سعيدة بالتعرف اليها».

اجابه كريستوفر قارلي وهو يبتسم:

«اريد ان اؤكد لك اولاً، ان ابنتي ليست في حاجة الى اذن مني. فهي  
حرة لأن تفعل ما تريد».

اجابه لويس غيبارمو:

«نعم. فهمت. اذن، ما رأيك يا سيده كلارك؟ هل تحب مرافقتي اليوم  
فتمضين الليلة في المزرعة؟ وإذا اعجبك المكان، يمكنك البقاء هناك مدة  
اطول».

«أشكر لك دعوتك هذه. يا سيد غيبارمو. لكنني جئت الى بونو  
لأكون قرب والدي. ألا يكفي ان ازورككم اليوم واعود في المساء؟»  
«كها تريدن. لكن مزرعتي على بعد اربعين كيلومترا من هنا. ومن  
الافضل لو تبقين الليلة هناك».

ترددت ديانا. فهي تحب زيارة المزرعة والتعرف الى روزا.  
اخبرتها ماريا عنها اشياء جميلة. لكنها كانت تخاف أن يأتي  
جايسون في غيابها.

قال لها والدها:

«لا اريدك ان تبقي هنا من أجلي. يا حبيبتي. ان حالتني تحسنت. ولا  
أعتقد انه سيحدث لي اي شيء في غيابك».

«لكن، اذا غاب جايسون ولم اكن هنا»

اجابها لويس:

«لماذا لا تتركين له رسالة تخبرينه أين تكونين. واطلبي منه ان يلحق  
بك. فروزا وانا يسرنا ان نراه».

التفتت ديانا نحو والدها وقالت:

«هل انت متأكد ان كل شيء على ما يرام؟»

«بالأكيد، يا حبيبتي. استفيدي من هذه الفرصة... في كل الأحوال لن  
تتسنى لك الفرصة دائماً لقضاء بعض الوقت في مزرعة حقيقية».

قالت ديانا لـ لويس:

«اتفقنا يا سيدي. سأرافقك. علي فقط ان اذهب الى الفندق لأجلب معي  
بعض الأغراض. واترك رسالة لزوجي».

«طبعاً. انا تحت تصرفك».

قال وهو يلتفت الى كريستوفر:

«الى اللقاء، يا سيدي العزيز. وأمل ان تأتي لزيارتنا، بعدما تغادر  
المستشفى».

اجابه كريستوفر:

«أسف، يجب ان اعود الى لندن».

نهض لويس غيبارمو وقال لديانا مبتسماً:

«اذن، هيا بنا. هل تسمحين بأن اناويك ديانا؟»



من جديد حتى بعد مئة متر تقريباً.  
فجأة، هبط الليل. وفي دقائق قليلة، غمر الظلام الغابة كلها.  
فاضطر السائق الى ان يشعل مصابيح السيارة، الضوء الوحيد في هذا  
الليل الطويل.

قالت ديانا بتعجب:

«ما سبق لي ان شأدت هبوط الليل بهذه السرعة»

«أظن ان الادغال تؤثر فيك كثيراً»

تذكرت ان جايسون قال لها الملاحظة نفسها، دخلت السيارة قرية  
صغيرة.

«غداً عندما تستيقظين، ترين الجبال. ان مزرعتي كبيرة، ومنزلي مبني  
في طرف السهل، ومنزل أخي الطويل يقع على الطرف الآخر. نزرع  
قصب السكر والكافا والبن، ولدينا أيضاً غابة موز واسعة. كما  
انزرع الدراق والحمض، فقط للهواة. وهكذا تشكل الحقول مجموعة  
من الألوان الغريبة في المنطقة»

وفي العتمة شعل لويس سيكارا، اجتاحت راحته جزو السيارة.

قال لويس فجأة:

«منذ متى، انت وجايسون متزوجان؟»

فوجئت ديانا بهذا التبدل في لهجة لويس وترددت قبل ان  
تجيب:

«منذ أكثر من سنتين»

«لكن، مضى على وجود جايسون هنا أكثر من عام. واني اعجب  
لأنكما افترقتما وانما ما تزالان حديثي العهد في الزواج. عادة المتزوجون  
الشباب يفضلون البقاء معاً في السنوات الأولى من زواجهم. هل كان  
صعباً عليك مرافقته الى الأكوادور؟»

## ٥ - في المزرعة

الطريق التي تؤدي الى المزرعة تتبع انحاضاً معاكساً للتيار النهري  
الذي يجتاز بونو، انها طريق واسعة، مبنية حديثاً، تتسلق التلال ثم  
الجبال.

بعد عدة كيلومترات، عبرت السيارة جسراً نحاسياً، حديث البناء  
ايضاً. وعند هذا الارتفاع، أصبح النهر جدولاً. وفي بعض الأماكن، لم  
يكن سوى سيل ماء سريع، ينبثق منه زبد يبدو وكأنه متعلق  
بالسحاب، جاعلاً من حوله الصخور والنباتات المزروعة تبدو متألقة  
بالوان قوس قزح.

وكانت الغابة شديدة الاخضرار والاشجار متشابكة بطريقة معقدة،  
كأنما الدخول اليها مستحيل.

«عندما كنت صغيراً، كانت هذه الطريق مراً ضيقاً. ولم يكن يعبرها  
سوى الخيول والبغال. والجسر لم يكن في الواقع سوى جسر ضيق،  
من جزعي شجرتين وبعض التراب المطروق بينهما. لقد كان العبور  
عملية انتحارية...»

فجأة انعطفت السيارة الى اليسار وعبرت فوق الجندول من جديد.  
فشأدت ديانا شلالاً ضخماً مخفياً وراء المزروعات والاشجار. كان  
يدوي عالياً والزبد يرتفع شيئاً فشيئاً ويتبعثر بين الأغصان.

كانت الطريق تتعرج أكثر فأكثر. تبعد احياناً عن النهر لتترب

فضلت ديانا السكوت على الكذب. وبقيت صابحة وهي جالسة في العتمة، قرب هذا الرجل الجذاب. راحت تقول لنفسها ان عليها ان تكون حذرة كيلا تسقط امام سحره. راحت تنظر من النافذة ولاحظت ان السيارة تركت الطريق العام وهي تسلك الآن طريقاً خاصة. ومن بعيد، شاهدت نوراً يلعب، تساءلت: لا بد ان هذا النور ينبعث من داخل منزل.

همس لويس قائلاً:

«لم تردى على سؤالى، واعتقد انى اعرف السبب».

فجأة، شعرت ديانا بيد لويس تلمس يدها. ارادت ان تسحبها، لكنه تمسك بها وراح يشد عليها، ويقول: «انت بردانة، اينها الفتاة الصغيرة. هل لأنك لم تعرفي الحب منذ سنة تقريباً؟ حرام ان تلقى امرأة جميلة مثلك، كل هذا الاهمال. لكن قولى لى، ما دور جايسون في كل هذا؟ لاية وان ما يسري في عروق هذا الرجل المتغطرس هو الماء وليس الدم».

سحبت ديانا يدها وشعرت بالندم لأنها قبلت دعوة شقيق ماريما. فهي لم تشك لحظة واحدة ان لويس غييارمو دعاها الى مزرعته لمغازلتها.

«ان يدي باردة لأن سيارتك مكيفة بالهواء البارد. كان على ان أحضر معى كتره. اما بالنسبة الى السؤال الذي طرحته على حول علاقتي مع جايسون، عليك ان تعرف اولاً، ان حياتنا لا تعنيك. وكى لا نحاول ان نسيء الظن بنواياي، اقول لك اننا تشكل زوجين عصريين. أصل أنا أيضاً في لندن، اقوم بمهنة أحبها، وعندما ذهب جايسون الى الأكوادور، لم أكن اريد ان اخلى عن مهنتي. وهو وافق على ذلك. كما وافقت انا على تنقلاته العديدة».

دخلت السيارة احدى الساحات وتوقفت، وراحت ديانا تتأمل اشجار النخيل العالية تتمايل مع هبات النسيم.

قال لويس:

«عظيم انت امرأة حازمة وانا احب ذلك فيك. وأمل ان تأتي الفرصة لأتمكن من مقارنة نفسي بك».

خرجا من السيارة ودخلا المنزل حيث كانت امرأة في انتظارهما.

قال لويس:

«يا عزيزتي ديانا، اعرفك بالسيدة ماثريلسو، انها تدير المنزل، ستأخذك الى غرفتك، واقترح عليك ان تستعدي وتوافيني الى قاعة الاستقبال بعد قليل».

كان أثاث غرفة ديانا بسيطاً. وكانت النافذة تطل على شرفة كبيرة... اما غرفة الحمام فكانت صغيرة الحجم، لكنها مجهزة بجميع وسائل الراحة العصرية. غسلت ديانا وجهها وبدلت ملابسها. ارتدت ثوباً طويلاً من القطن البنى اللون ولقوه كتره صفراء.

كانت قلقة بعض الشيء لوجودها مع لويس غييارمو. هبطت السلم وتوجهت نحو غرفة الاستقبال. كانت القاعة كبيرة وجدرانها مغطاة بالخيزران الاخضر الفاتح.

نهض لويس عندما دخلت ديانا الغرفة. وسأها:

«ماذا تحبين ان تشربى؟»

اختارت ديانا عصير الفاكهة الذي قدمه اليها في كأس من الكريستال الفاخر مع بعض قطع الثلج. سأها لويس عندما رآها تتأمل احدى اللوحات:

«هل تهتمين بالفنون؟»

«نعم، انى احب الرسم جداً، درست في معهد الفنون الجميلة في لندن».



ان هذه اللوحة رائعة جداً، من هو الرسام؟

«انا»

ابسم لويس وهو يرى نظيرة الأرتياب في عيني ديانا .  
وأضاف:

«صحيح، انا من رسم هذه اللوحة، هناك شيء مشترك بجمعنا، يا عزيزتي. لقد درست الرسم عندما كنت شاباً، في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي اسبانيا وهنا، انني قبل كل شيء فنان، اما الزراعة فتأتي في المرتبة الثانية. لكنني لست نادماً على زراعة الأرض. فقد أصبحت بسببها غنياً، وهانذا، اقوم بأسفار عديدة وأرسم حين أرغب وعلى طريقتي الخاصة. عندما أموت، أريد ان يتذكروني الناس اني كنت فناناً وليس مزارعاً غنياً. هذه اللوحة التي تحببتها رسمتها عندما كنت أعيش في كيتو، العاصمة».

عادت تتحدث في اللوحة، ولاحظت ان الألوان الغالبة هي الأحمر والأسود، فقالت:

«في هذا الرسم عنف شديد».

«هذا صحيح. ان تاريخ بلادنا وشعبنا مصنوع من العنف. لقد تعذبنا خلال عصور عديدة وما زلنا نقاسي العذاب. شهدت بلادنا الأعصار البركانية، والهزات الأرضية والحروب والثورات. ولا تنسى ان الهنود الاينكاس غزونا، وكذلك الاسبان».

«الهنود الاينكاس؟ كنت اعتقد ان لا وجود لهم سوى في البيرو».  
«بالفعل، لقد استقروا في البيرو، واصبحت مدينة كوزكو عاصمتهم. لكن، فيما بعد، انتقلوا صوب الشمال وتغلّبوا على شعب كيتو. لكنهم يحبون السلام، ويعيشون من الزراعة، وقد تركزوا على هذه الأراضي منذ آلاف السنين. في كل حال كان الهنود الاينكاس

بالنسبة اليينا كما كان الرومان بالنسبة الى أوروبا. احتلوا البلاد وسيطروا على السكان وقدموا اليهم حضارتهم. وادت سياستهم هذه الى سيطرة السلام في الأراضي المحتلة، مع المحافظة على رفع مستوى الحياة عند المهزومين».

دخلت امرأة شابة الى قاعة الاستقبال. راح لويس يتحدثها باللغة الاسبانية، في صوت حاد وباختصار. فتقدمت من المقعد حيث كانا يجلسان.

شعرها اسود قائم، مرفوع بكعكة في مؤخرة رأسها. عيناها غامقتان وفيها الناعم يؤكد انها ابنة لويس. كانت ترتدي تنورة طويلة كحلية اللون، وقميصاً بيضاء وسترة مطرزة بالذهب.  
قال لويس بالانكليزية:

«روزا، اقدم لك ديانا، انها لا تتكلم الاسبانية. وهذه فرصة لك لتعلمني على لغتك الانكليزية».

ابتناسمة سريعة لمعت في عينيها، ما لبثت أن خبت حين قالت بلغة انكليزية متكلفة:

«مساء الخير. ديانا، اني سعيدة بالتعرف اليك».

أجابتها ديانا وهي تضافحها:

«وانا كذلك، يسرني التعرف اليك. اخبرتني ماريانا اشياء كثيرة عنك».

تناولوا العشاء في غرفة الطعام، وراء طاولة مستديرة عليها شرفه أبيض مع تخريم ناعم، والأواني الفضية كانت رائعة وهي تعود الى القرن الثامن عشر. كان يقدم الطعام شاب يرتدي سترة بيضاء. وكانت وجبة العشاء مؤلفة من القريدس المنقوع بعصير الحامض كمقبلات، اما الوجبة الأساسية فكانت مؤلفة من شرائح اللحم

المطبوخة مع البطاطا والجبن. والتحلية كانت من فاكهة الأدغال:  
الشيريموبا. وهي كناية عن فاكهة، قشرتها خضراء وداخلها أبيض  
وطعمها يذكر بطعم الفراولة والأناناس والدراق. كلها معاً.

كان الحديث يدور حول الفن والرسم بشكل خاص. نادراً ما كانت  
روزا تتدخل في الحديث. وممرات عديدة، خلال العشاء، كانت  
ديانا تنظر في اتجاهها. وكل مرة كانت تراها تحقق فيها باستمرار.  
شعرت ديانا ببعض الانزعاج امام صمت الفتاة. ربما لأنها لا  
تتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة وتشعر بصعوبة التعبير عما تريد قوله.  
لكن ديانا لاحظت ان والدها لويس لا يبذل اي جهد لجعل  
ابنته تشرك في الحديث. لو كان والدها كريستوفر لتصرف تصرفاً  
مغايراً. وادركت ديانا ان روزا ضحية كبرياء لويس. كم هو  
مختلف تماماً عن شقيقته ماري، تلك المرأة الكريمة، الدافئة والمضيافة.  
وشيناً فشيناً قررت ديانا الحذر من هذا الانسان الفظ.

حاولت ديانا إيجاد موضوع لتتحدث مع روزا، فقالت لها  
اخيراً:

«لقد اتيت لي فرصة قضاء بعض الوقت مع عمك ماري وابنها  
رامون. قالت لي ماري انك كنت تسكنين معها عندما كان زوجي  
يقضي فترة التقاعد في منزلها».

«كيف؟»

قالت بالغة الاسبانية، ثم اصفر وجهها والفتت بنظرة يأس الى  
والدها، كأنها تسأله ان يشرح لها. لكن لويس بقي جامداً من دون  
ان يتكلم. وراحت روزا تشبك يديها ببعضهما في توتر بالغ وقالت  
بعد جهد كبير:

«اني لا أفهم، من هو زوجك؟»

وفوجئت ديانا بدورها، وابتمسم لويس بسخرية وقال:  
«نسيت ان الفظ اسم عائلتك عندما عرفتك على روزا».

التفت صوب ابنته وكلنها في لغة اسبانية سريعة. ولم تسمع  
ديانا الا انه لفظ كلمتين: ديانا و جايسون.

واكفهر وجه روزا. القى لويس بجسلة قصيرة وملحة الى ابنته  
في لهجة قاسية، مما جعلها على وشك البكاء. وفجأة، بلا تحذير، التقطت  
كوب العصير وقذفته في وجه والدها. فابتعد لويس بسرعة ووقعت  
الكأس على السجادة من دون أن تصيبه. انما لطمخته بعض النقط  
المساقطة منها. ومن دون قلق، امسك بمحزمة بيضاء وخاطب روزا  
بلهجة حادة، فانفجرت بالبكاء ووقفت فجأة وخرجت بسرعة فائقة.

قال لويس وكان شيئاً لم يحصل:

«أرجوك ان تعذري روزا على تصرفها هذا. فهي شديدة التوتر في  
هذه الأيام. اني اقترح ان نعود الى غرفة الاستقبال ونتناول القهوة.  
سأريك بعض اللوحات التي حدثتك عنها. حسب رأيي، تظهر هذه  
اللوحات بدقة العنف والوحشية الراكدة وراء الحياة الهادئة ظاهرياً، في  
الأكوادور».

وبرغم ما حدث كان لويس يبدو محافظاً على برودة اعصابه.  
لكن ديانا بدت قلقة، اذ عليها ان تقضي بقية السهرة وحدها برفقته.  
لأنها دخلت غرفة الاستقبال متظاهرة بالهدوء.

كانت السيدة مارييلو في انتظارهما. وراحت تعاتبه باللغة  
الاسبانية. وكان لويس يصغي اليها بهدوء، ثم راح يتكلم بدوره  
بلهجة قاسية، جعلت ديانا تنحاز الى الخادمة. لكن سرعان ما غيرت  
رأيها لأن في اللحظة التالية، التفتت السيدة مارييلو نحوها والقت  
اليها نظرة قاسية ووجهت اليها كلمات كأنها شتائم. ثم استدارت



واختفت وهي تصفق الياب وراءها.

قال لويس:

«اني اسف جداً لتصرف الخادمة. ان السيدة ماتريلو تهتم بروزا منذ وفاة والدتها، أي منذ كانت روزا فتاة صغيرة. لقد ربعتها كأنها ابنتها، وهي دائماً تقف الى جانبها اذا حاجبها احده»

وسألت ديانا بتعجب:

«لكنني لا أرى لماذا اعتبرتني احاجبها. لم اكن اتحدث إلا عن جايسون»

ابتسم لويس وأشار الى الصينية الموضوعة على الطاولة بقربها:

«ارجوك ان تقدمي القهوة أولاً، ثم اشرح لك لماذا أثار اسم زوجك الريبة في قلب ابنتي الى هذه الدرجة».

تناولت ديانا غلاية القهوة الفضية وقدمت القهوة في فناجين صغيرة من الكريستال. واقترب لويس منها وجلس قريبا على المقعد الواسع. فتمنت ديانا لو انها تنبته للأمر وجلست في مقعد منفرد.

«هل يزعجك اذا دخنت السيكارا الآن هو افضل اوقات السهرة. قهوة لذيدة الطعم وسيكار ذو رائحة عطرية، وامرأة شابة جذابة ورائعة مثلك. هل سبق وسمعت احداً يقول لك انك امرأة جميلة، يا ديانا؟ انك تستمتعين بجمال يارد تتميز به النساء الانكليزيات».

انحنى ديانا الى الامام وتناولت فناجان القهوة عن الطاولة المنخفضة وانتهزت هذه الفرصة للابتعاد عنه بعض الشيء. ثم اجابت تقول:

«والآن، ارجو ان تشرح لي لماذا شعرت روزا بالاضطراب حيال سباعها كلمة جايسون».

«آه، نعم، بالطبع. كانت في حالة توتر غريب، اليس كذلك؟ من زمان وانا أحاول ان اعرف حقيقة احساسها، وتصرفها الليلة أفادني أكثر مما كنت اتصور. انها واقعة في غرام جايسون، لكنها لم تكن على علم انه متزوج. انه موقف حرج، بالنسبة اليها، اليس كذلك؟»

روزا صغرة جايسون! شعرت ديانا باضطراب لما يمكن ان ينتج عن ذلك. كانت على حق عندما تصورت ان جايسون لابد وأنه تعرف الى امرأة اخرى؟ انه وقع هو أيضاً في غرامها؟ لكن، هل هو فعلاً مغرم بها؟ وراحت يد ديانا ترتجف وهي تضع فناجان القهوة على الطاولة بقربها. لكنها تمكنت من الاحتفاظ بالهدوء وقالت:

«لا بد وانك تمزح»

«ابدأ، سأشرح لك، منذ سنتين، وانا أتوقع من روزا ان تتزوج صديق طفولتها ارتورو غوميز انه زواج يوافقني تماماً، كما يوافق أهل ارتورو. لأنه سيؤدي الى اتحاد عائلتين غنيتين، وحالياً يدرس ارتورو في الولايات المتحدة الاميركية، لكنه سيعود قريباً. ونحن نرغب ان يتم هذا الزواج خلال شهر. اردت مناقشة الوضع مع روزا، لكنها قالت لي بصراحة انها ترفض الزواج من ارتورو لأنها تحب رجلاً آخر».

عاد يحسني قهوته وعلى شفطيه ابتسامة حزينة ثم تابع يقول:

«سألتها مرّات عديدة، من يكون ذلك الرجل الذي تحبه، لكنني لم أتوصل الى معرفة هويته. كان عندي بعض الشكوك، لكنني لم اكن املك اية ادلة تؤكد شكوكي... الا اليوم، اي منذ ان التقيت بك...»

«اذن طلبت مني المجيء الى هنا، عمداً، لكي...»

توقفت ديانا عن الكلام، غير قادرة على اكمال جملتها.

فأسرع لويس يقول وفي عيشه نظرة استهزاء:

«لأعرف الحقيقة بوجودك؟ طبعاً، ونفذت خطتي بحذافيرها، والآن، اني متأكد تماماً ان الرجل الذي تحبه هو جايسون بالذات. وانت يا ديانا، ألم تشكي بشيء؟ ألم يهزرك جايسون بذلك؟»  
«كلا، كل ما اعرفه، ان روزا كانت تسكن عند ماريلا سواريز خلال فترة النقاهة التي قضاها جايسون في منزلها.»  
«نعم، وهناك بدأت القصة، وللأسف كنت في هذه الفترة مسافراً. ومن السهل التكهّن بما حصل. كان جايسون في نظر روزا، البطل الذي خاطر بحياته لينقذ رجلاً آخر. كما انه اصيب بجروح بالغة من جراء مخاطرته هذه. وكانت حاضرة هناك، ليل نهار، لتشفه بدورها. هل يمكنك ان تتصورى وضعاً أكثر عاطفية من هذا؟ وزيادة على ذلك، ان جايسون يختلف اختلافاً تاماً عن الرجال الذين تعرفت اليهم من قبل. انه قوي، ورصين ومتحفظ كان بالنسبة اليها عملاقاً أشقر، قوي البنية وجميل الوجه، في أي حال، هكذا كانت تراه. انها ما زالت في التاسعة عشرة من عمرها. وانت لا تكبرينها كثيراً. ويمكنك ان تتصورى ما يمكن ان يكون قد حصل بينهما. ربما كنت تشعرين بالماضي امام جايسون بالأحاسيس نفسها، وربما أحببت جايسون بالطريقة نفسها.»

«اني ما زلت احبه بالطريقة نفسها.»

«هكذا حدثت ديانا نفسها من دون ان تجرؤ على البوح بذلك. وتابع يقول:

«لا بد من الاعتراف بانى شعرت بخيبة أمل عندما اخبرتنى ماريلا ان جايسون رجل متزوج. ولا أفهم لماذا لم يخبر الجميع بذلك من قبل. عندما تعرفت اليه في كيتو، دعوته لقضاء بضعة أيام هنا في المزرعة. وقبل دعوتي، لكنه لم يتمكن من البقاء مدة أطول، بسبب

كثرة أعماله في تلك الفترة بالذات. وبعد رحيله، لاحظت ان روزا كانت حزينة، وحالة ومعزولة. وهنا بدأت الشكوك تراودني.»  
وضع لويس فنجانه على الطاولة والتفت نحو ديانا الجالسة في قربه وقال:

«والآن بعدما اخبرتك لماذا كانت روزا مضطربة خلال العشاء، ماذا تتوهم ان تفعل؟»

«ماذا افعل؟ ماذا تريدني ان افعل؟»

«ربما تريدن الطلاق؟ وفي هذه الحال سيكون جايسون انساناً حراً ليتزوج من جديد، مما يسعد ذلك روزا.»

«لكن، ليست في نيتي الطلاق، ما الذي يجعلك تفكر في ذلك؟»

«قالت لي شقيقتي ماريلا انك لم ترى جايسون منذ أكثر من سنة. ورغم ما قلت لي في السيارة، انكما زوجان عصريان لاحظت انه منذ وصولك الى الأكوادور، لم تتوصلا بعد الى الاتفاق. والألم تركك وحدك منذ وصولك الى بونو. ولما كنت تبدين حزينة هكذا، تشبهين امرأة محرومة من الحب منذ زمن بعيد.»

كان قد اقترب منها تماماً. وشعرت ديانا بيده تداعب كتفيها. ارتجفت ثم سيطرت على شعورها وتناولت حقيبة يدها ونهضت واقفة وراحت تتشاهب وتقول بصوتها الناعم:

«أسفة لأنني سأخيب آمالك، يا سيدي. لكن كل ما تقوله الآن، لا يعكس سوى رأيك الخاص. لا تنسى انك من جيل آخر فكيف تريد ان تفهم زواجاً كزواجنا؟ والآن، اذا سمحت، سأذهب الى النوم، اني شديدة التعب. ولا شك ان السيب هو تبدل المناخ، وأمل ان تكون روزا في حالة أفضل غداً. تصبح على خير، يا سيدي.»

وغادرت ديانا الغرفة قبل ان يتسنى له الوقت للوقوف لمراقبتها.



كانت متأكدة انه يود ان يبقيا معه. صعدت السلم بخطوات كبيرة ودخلت الى غرفتها واغلقت الباب ورائها واستندت جسها الى الباب وهي تلهث. بحثت عن القفل، لكن لم يكن هناك مفتاح. وتساءلت بعصبية ماذا يمكنها ان تضع على الباب لتسند به. لم تشكل لحظة واحدة ان لويس غييارمو يمكن ان يدخل الى غرفتها من دون طرق الباب والحصول على اذن. اذا كان هذا ما يريد.

شاهدت صندوقاً صغيراً مخصصاً لوضع اثياب القذرة المعدة للغسيل. فالصفتة بالباب. لم يكن ثقيلاً لكنه يصمد قليلاً بما يجعلها حاضرة لأي حركة مفاجئة.

جلست على حافة السرير تحاول ان تهدئ من توترها. ليس في وسعها وهي في هذه الحال ان تخلد الى النوم. راحت تصغي السمع منتظرة في أي لحظة سماع أصوات خطوات تقترب.

بقيت على هذه الحال لفترة طويلة. وراحت تتساءل كيف تستطيع الهرب من المزرعة والعودة الى كيتو غداً.

وحوالى منتصف الليل، ارهقها التعب والتوترا فقررت ان تنام. لكنها شعرت بأنه من الصعب ان تنام بسهولة. وراحت تتساءل: ما هي الحقيقة مشاعر جايسون تجاه روزا؟ هل صحيح انه وقع في غرام تلك الفتاة التي اهتمت به خلال فترة الاستجهاام في منزل ماريما؟ هذا ممكن. ذلك ان روزا تشبهها كثيراً. انها يتيمة الأم مثلها. وسبق ان قرأت ديانا مقالاً يقول ان الرجل يقع دائماً في غرام النساء اللواتي من النوع نفسه.

يجب ان تعود الى بونو في أسرع ما يمكن. يجب ان تكون هناك عندما يعود جايسون من الأدغال. وهكذا يمكنها ان تطلب منه ان يختار بينها وبين روزا. ولا شك انها الطريقة الوحيدة لوضع الأمور

في نصابها.

وبعد سلسلة من التساؤلات والكوابيس، خلدت ديانا الى نوم عميق. واذا بها تسمع في نومها طرقات على الباب وصوتاً يناديها. انتفضت ونظرت الى الباب.

«سيدتي، سيدتي، ماذا يجري؟ ان بابك لا يفتح»

وتعرفت ديانا الى صوت روزا فقفزت خارج السرير وراحت تفتح الباب. فدخلت روزا ترتدي بنطلوناً من الجينز الضيق وقميصاً من الفظن الأبيض وتحمل صينية في يديها.

«صباح الخير، يا سيدتي. اني اجلب لك فطور الصباح».

كانت تبسم بفتور وتقول كما لو ان احداً يلقتها ما يجب ان تقول: «اني أسفة لتصرفي الوقح أمس، هل تسامحيني؟»

«طبعاً اسامحك. شكراً لك لأنك أحضرت الفطور، فهذا لطف منك. لقد كنت طويلة. ولا بد أنني تأخرت. كم الساعة الآن؟»

«العاشر والنصف. كان جايسون ينام في هذه الغرفة، عندما كان يسكن عندها. وكنت اجلب له الترويقة حتى السرير، أحياناً».

حاولت ديانا ألا تفكر بمشهد جايسون في الصباح عندما ينهض من النوم، بشعره المشعث وعينيه التاعستين، وصدره العاري وعضلاته الظاهرة.

قالت ديانا من دون اضطراب:

«وأنا أيضاً، احضر له فطور الصباح الى السرير، أحياناً».

لو كان جايسون معها الآن، بقرعها في السرير، لما تصرفرت روزا بهذه الوقاحة!

«لقد اعتقدت انك عشيقة والذي الجديدة، عندما شاهدتك تصلين معه. هل أنت حقاً عشيقته الجديدة؟»

«كلا. ابدأ. لماذا، هل يصطحب عشيقاته معه الى البيت؟»

«نعم. دائماً. منذ وفاة والدتي وربما قبل ذلك أيضاً. هو هكذا. لقد طلب مني ان اعتذر منك، لأنه غير قادر ان يقضي النهار معك. فهو مضطر الى الذهاب الى بنون لقضاء بعض الأعمال. أحبين رؤية المنزل والمزرعة؟ يمكننا التنزه على ظهر الحمار».

«عظيم»

«حسناً. سأهتم بالأمر. يجب ان نذهب قبل الظهر، فيعد ذلك، يصبح الحر شديداً وغير محتمل».

ثم أضافت بغتة:

«كيف تجدین حديثي باللغة الانكليزية؟»

«جيد جداً».

«لقد علمني جايسون الانكليزية. سأكون في انتظارك بعد قليل...»  
ابتسمت روزا ثم خرجت من الغرفة وبقيت ديانا تحديق بالباب المغقل لا تريد إلا أمراً واحداً: ان تمسك بشيء ما وتحطمه. لكنها تمالكت اعصابها واحسنت جرعة من القهوة الساخنة وهي تقول ان روزا تتمتع بقدرة هائلة لتجعلها في غيرة كبيرة. كان يكفي ان تنطق بهذه الكلمات...

وفهمت ديانا في هذه اللحظة بالذات كم كانت سريعة العطب لكل ما يتعلق بجايسون. بسبب كلمات أونيس، ورسالة من امرأة مجهولة تدعى كارول، وكلمات روزا الجارحة، جعلتها انسانة غيورة وتعيسة.

وفهمت أيضاً ان هذا هو الثمن الذي سوف تدفعه لأنها تزوجت من رجل جذاب. لكن اذا كانت ترغب في المحافظة على زواجها، واذا ارادت ان تحضي بقية حياتها معه، فان عليها ان تتعلم ان تضبط نفسها

أكثر

وانتهت بسرعة من تناول فطور الصباح، ثم أخذت حماماً سريعاً وارتدت ثيابها ونزلت الى ساحة البيت للانضمام الى روزا التي كانت في انتظارها. والشاب الذي قدم لها العشاء البارحة، ساعدها على امتطاء حمارين صغيرين، ثم انطلقا.

لاحظت ديانا ان روزا فتاة رائعة، ترتدي قبعة من الفس على رأسها لحمايته من الشمس الالهية. شعرها الطويل مجدل حتى خصرها. كان الجر مثقلاً ينذر بهبوب عاصفة. لكن التنزه على ظهر الحمار كانت رائعة. وكان الحيوان يعرف الطريق جيداً، لذا فكان من غير الضروري محاولة توجيهه.

وصلتا امام أشجار البرتقال والليمون الحامض. وكانت الشمار تشكل بقعاً ذات ألوان فاقعة على الأوراق الخضراء.

ثم دخلتا الى قلب الأدغال، من قريب كانت المزروعات تبدو أكثر جمالاً مما عليه من بعيد. وكانت ديانا تتعرف الى بعض النباتات، لكن كانت تجهل معظمها. وكانت جذوع الشجر مغطاة بالنباتات المتسلقة والحشائش والعرائش.  
همست ديانا قائلة:

«أمل ألا تضيع الطريق».

أجابتها روزا:

«لا تخافي. أعمل بوصلة تقينا خطر الضياع. حتى الهنود أنفسهم يمكنهم ان يضلوا الطريق أحياناً. هل كل شيء على ما يرام؟»

هزت ديانا رأسها بالإنجاب. فلن تقول لروزا أنها تشعر بالحر يلهم عظامها، وأنها تتصيب عرقاً وأنها تكاد تحترق من شدة العطش. كيف يمكن للباحثين عن البترول ان يعملوا في مثل هذه الظروف؟



وكيف يمكن لجايسون ان يتحمل هذا الحر الشديد؟ فليس من المستغرب انه يشعر بحاجة الى المجيء الى كيتو من وقت الى آخر للراحة والاستجمام.

وصلنا أخيراً الى مكان في الغابة حيث تجمعت بعض المنازل المبنية من خشب، ذات السقوف المصنوعة من أوراق الأشجار. وتوقفتنا أمام احد المنازل، وقامت روزا بوضع قدميها على الأرض وقلدتها ديانا بذلك.

اقترحت روزا على ديانا قائلة:  
«أتريدن رؤية منزل تابع لأحد الطنود الجيفارو. وهكذا يمكنك ان تحبيري اصدقاءك بما رأيت عندما تعودين الى انكلترا»  
وافقت ديانا وهي تلاحظ تلميحات روزا الماكرة.

في الداخل كان المنزل في منتهى النظافة. وربة المنزل امرأة ذات جمال مدهش. ملامحها تحمل علامات نيل وتدل على انها انتمت الى قبيلة أصيلة، لا خليط قبائل أخرى فيها. وقد دعتني ليريا طفلها النائم في مهد عصري، على غير ما كان يتوقع. ولاحظت ديانا وجود أشياء حديثة داخل المنزل، من بينها الأدوات المطبخية والطناجر النحاسية الجديدة. كما عرض عليها صبي صغير سلاح «الانبوية» وراحت روزا تشرح لديانا كيفية استعماله.

«نغمس الرأس في السم الذي يصنعه الطنود بانفسهم. وعندما يصيب السهم الحيوان، يحاول هذا الأخير ان يتخلص من السهم الذي ينكسر حده ويموت الحيوان على الفور. انه اختراع عجيب، أليس كذلك؟»  
بعد زيارة قصيرة للمنزل الهندي، عادتا الى التنزه في الغابة. ومرة أخرى رشتها روزا بمكر بملاحظة أخرى:

«جايسون وأنا، غالباً ما كنا نقوم بنزهات على ظهر الحمار. كانت

قدما جايسون تلامسان الأرض من شدة طولها، وكنا نضحك من ذلك كثيراً».

أخذت ديانا تشد على اسنانها، مصممة على ألا تدع روزا تزعجها بهذه الملاحظة القاسية. وشعرت بأن روزا تراقبها وتتجسس عليها. ولذلك كانت مصرة ألا تبدر منها أية إشارة ضعف أمامها. وفيجأة قالت روزا:

«لم يقل لي جايسون انه متزوج. أخبرني عمتي انه انسان تعيش جداً لأن أحدهم اساء اليه. وأعتقد ان الشخص الذي اساء هو أنت. أنا أعزف على القيثارة. وكنت أعزف له مراراً. فهو يحب الموسيقى، وهذا من النادر رؤيته عند من يتمتع برجولة بارزة مثله. وهو، كان يعلمني اللغة الانكليزية».

توقفت لحظة عن الكلام، ثم تابعت.

«وعندما سكن في المزرعة، هنا، كنا نقوم سوية بنزهات طويلة. وكنا نغني فقرات مرحة. وأعتقد انه وجد السعادة برفقتي. قلت له اني أحبه وأريده ان يكون زوجاً لي».

سألت ديانا وقد تشنجت يدها على اللجام:  
«وماذا أجابك؟»

«لا شيء، رجل. والآن وقد تعرفت عليك، فهبت السبب. لم يكن في وسعي ان يتزوجني ما دام متزوجاً منك. هل جئت الى الأكوادور لتتفاوضي معه على الطلاق؟»  
«كلا».

«لماذا، إذن؟»

أجابتها ديانا بصوت ثابت:

«من أجل... من أجل ان اراه، وأكون معه».

«اني لا أفهم. وإذا كنت تريد أن تكوني مع جايسون، لماذا جئت إذن إلى هنا مع والدي؟»

«لأنه دعاني لأزور المزرعة وأتعرّف عليك».

وفجأة لمحت ديانا شكلاً أخضر اللون بين الأوراق، يتحرك بسرعة، ويقترب منها. وعرفت ديانا أنها حبة عصفور البيضاء تطايرت بسرعة، وراحت السعادين والقروء تطلق أصواتاً ثاقبة. ثم عاد الصمت واختفت الحبة.

بدأت ديانا تتضايق من رفقة روزا، لكنها سرعان ما شعرت بالارتياح عندما لاحظت أنها وصلت إلى طرف الأدغال. وانفتح أمامها حقل من قصب السكر، تحت شمس لاهية، ومن بعيد، كان المنزل يلعب تحت أضواء مترججة، مثل السراب.

سألتها روزا:

«هل صدقت والدي؟»

«طبعاً، ولماذا لا أصدقها؟ في كل حال، لقد دعاني لزيارة المزرعة أمام والدي، ورأى والدي أنها فكرة جيدة أن أزور المزرعة وأتعرّف إلى فتاة في مثل عمري».

وراحت روزا تهقه وتظهر أسنانها البيضاء المغروزة جيداً في فكّيها.

«تماماً ما يميّز والدي، انه رجل ذكي وخبيث. لكن إذا كنت تعتقدين أن ذلك هو السبب الوحيد الذي من أجله دعاك إلى هنا، تكونين خفّاء أكثر مما كنت أتصوّر. انه يريدك أن تكوني عشيقته الجديدة، لأنني لاحظت كيف كان ينظر إليك مساء البارحة، عندما كان يحدثك عن الرسم...»

أجابتها ديانا بنبرة حادة:

«أذن، أحب أن أعلمك انه ليس في نيتي أن أكون عشيقته، فهو في

سن والدي».

«هذا لا يهمه أبداً».

«نعم، لكن ذلك لا يعني أننا أوفاء! اني سعيدة جيداً أننا ابتعدنا عن الأدغال. كنا كأننا في حمام بخار».

«نعم، الطقس حار جداً اليوم، ويئس بعاصفة، في نهاية النهار. لماذا تغيّرين الحديث، اني لا أفهم لماذا جئت إلى هنا بينا تزعمين أنك تريد البقاء قرب جايسون».

أجابها ديانا بصوت متوتر:

«جايسون يعمل حالياً في أماكن جديدة حيث يتم التنقيب عن النفط ولا يمكنني مرافقته إلى حيث يعمل، ليس لأننا متزوجين يعني أن علينا أن نكون معاً طيلة الوقت، ومن جهة ثانية، هذا لا يعني أيضاً أننا لا نريد أن نكون معاً».

ثم عادت روزا لتقول وهي تهز كتفّيها:

«لكن أنا لا أفهم، لو انني وجايسون متزوجان لحاولت ألا نفرق أبداً...»

أجابت ديانا بلهجة حادة:

«هذا يعني أنك لا تعرفين جايسون جيداً، يمكنك أن تحاولي، لكن ذلك لن يغيّر شيئاً. لا أحد يجبره أن يكون في أي مكان إذا لم يكن يرغب في ذلك».

ألفت روزا بنظرة قاسية وحركت حمارها وكأنها تريد أن تسد الطريق على ديانا. قالت بلهجة انتصار:

«تقولين اني لا أعرف جايسون معرفة كافية، في كل حال أن ما أعرفه هو أنه سيكرهك عندما يعرف أنك زرت المزرعة، فهو يعرف جيداً صيت والدي وسيعتقد بأنك أصبحت عشيقة لويس غيبارمو».



وسيطلب منك الطلاق قوراً».

أجابتها ديانا في ضجر:

«توقفي عن هذا التصرف الصياني. لقد تعرفت الى والدك فقط منذ

البارحة. ولم أمض هنا سوى ليلة واحدة...»

«وستمضين غيرها من الليالي. قال لي أبي أنك ستبقين هنا هذه الليلة

أيضاً. وربما ليالي أخرى».

«كلا، سأعود الى بونو في أسرع ما يمكن».

وسألتها روزا في لهجة ساخرة:

«وكيف ستعودين الى بونو؟»

«سيارة والدك ستوصلني. كما جاءت بي الى هنا».

شعرت ديانا فجأة بحكاك في خصرها، وتذكرت نصائح الطبيب:

ربما يكون ذلك مقدمة لارتفاع حرارتها. عليها ان تأخذ حماماً في الحال

لئلا تصاب بأي مرض خلال اقامتها في المزرعة.

وقالت روزا وهي ترسم ابتسامة شريرة:

«لا تغادري المزرعة إلا اذا أمر والدي بذلك».

«ماذا تعنين بهذا؟»

«لن تعودي الى بونو اذا لم يأمر والدي السائق جوزيه كي يوصلك.

وأعرف أنه لن يقوم بذلك اليوم. لأنه قبل ذهابه هذا الصباح، قال لي

أنك باقية معنا اليوم أيضاً. وقال لجوزيه ألا يضطجبك الى بونو.

وأعتقد انه من الصعب عليك العودة على ظهر الحمار، يا سيدتي».

وضحكت روزا بسخرية واستدارت مع حمارها وابتعدت.

عندما وصلت ديانا الى ساحة المنزل، كانت مرهقة جداً يتصبب

العرق منها بغزارة. نزلت عن الحمار ورأت سيارة الكاديلاك تدخل

الساحة. أنزلت السيدة ماثرييلو بعض الأغراض بمساعدة جوزيه،

الذي قادها الى بونو.

دخلت ديانا تواء الى غرفة الحمام بعد ان ملأت المغطس بالماء

الفاتر، فاغتسلت وجففت جسمها بعناية.

هل تكون سجين في المزرعة؟ ان مجرد التفكير بالأمر جعلها ترتجف

كأن موجة باردة اجتاحتها برغم الحر الشديد.

هي حقاً سجين اذا صحّ كلام روزا ان لويس غيبارمو منع

السائق من إيصالها الى بونو.

لكن، عليها ان تعود الى بونو بأي ثمن وفي أسرع ما يمكن، حتى

تكون هناك عندما يعود جايسون. لتراه من جديد وتتكلم معه، كيلا

ينفذ تهديده.

لقد كانت عيناها مسمرتين في سقف الغرفة وهي تتساءل عن

الطريقة التي تعود بها الى بونو، غير استخدام الحمار

## ٦ - الهرب والعاصفة

وفجأة وجدت الحل. خطرت لها فكرة جهنمية ايقظتها من غفلتها. وانتصبت وقلبيها يخفق بشدة. هل هذا معقول؟ هل تجرؤه على تنفيذ هذا المخطط؟

طبعاً، انه الحل الوحيد. واذا فشلت خطتها، تكون قد نجحت في جعل سكان المزرعة يعرفون الى أي درجة تصر على العودة الى بونو. انها غير مستعدة لتخيل فكرة ان تكون سجيناً. ولهذا السبب، وضعت خطة طريقتها. نزلت من سريتها، وخلعت منزرها وارتدت فستاناً من الفلين.

ثم مشطت شعرها ووضعت بعض المساحيق على وجهها. ووضعت ملابسها واغراضها في حقبتها. ثم وضعت الحقيبة في الخزانة. ربما لن ترى ملابسها مرة اخرى. شعرت بلحظة ندم أمام فكرة ضياع ملابسها، لكنها أدركت ان لويس غييارمو ليس لصاً ولن يعاقبها لأنها غادرت منزله سراً.

حملت حقيبة يدها وفتحت الباب وخرجت الى الممشى ولم تلتق احداً وهي تتوجه نحو السلم.

عندما وصلت الى السلم، توقفت وألقت نظرة خاطفة على المدخل. كان خالياً. المنزل يسوده السكون كان الوقت ليلاً. وتساءلت ديانا ما اذا كان الجميع يأخذون قسطاً من الراحة في وقت القيلولة. نزلت

السلم بهدوء وتوجهت نحو قاعة الاستقبال. اذا فاجأها أحد، فيمكنها ان تقول انها كانت تتأمل لوحات السيد لويس غييارمو.

وكما توقعت كانت سيارة الكاديلاك لا تزال في الساحة. وجلست في كرسي ونظرت الى ساعتها. سيصل جوزيه بعد دقائق وسيوجه الى بونو لاصطحاب لويس الى المزرعة. نهضت ديانا ووصلت الى الباب وفتحته. لا احد في الساحة. لكن الخطر الوحيد هو ان تراها روزا. أو السيدة ماتريلو من احدى النوافذ... واسفاه! لكن هذا لن يمنعها من القيام بهذه المحاولة.

واجتازت الساحة على رأس اصابعها. كان الجو رطباً وخانقاً. انه الهدوء الذي يسبق العاصفة. وصلت أمام السيارة، وضعت يدها على مسكة الباب وفتحته من دون ضجة. ودخلت في المقعد الخلفي. وأغلقت الباب بهدوء. ثم استعادت تنفسها وحاولت مراقبة دقات قلبها. ثم تقدمت في أرض السيارة. تقوَّعت على نفسها وانتظرت.

فجأة، سمعت أصوات خطوات وكلام بالاسبانية. ثم انفتح الباب من جهة السائق. وجلس جوزيه أمام مقود السيارة فسمعت ديانا صرير الكرسي ثم انغلق الباب. وسمعت أصوات المفاتيح. أفلعت السيارة وصوت المحرك يدوي بقوة.

سارت السيارة على الرمال ثم على الحصى، ودخلت الطريق المؤدية الى الشارع الرئيسي.

حاولت ديانا جاهدة التنفس من دون احداث أية ضجة. نجحت خطتها وهي الآن في طريقها الى بونو. ويحذر واحتياط حاولت اتخاذ جلسة مريحة، لكنها ظلت تشعر برجيج العجلات واهتزاز السيارة. ومرت السيارة فوق ثقب في الطريق واضطرت ديانا لأن تعض على شفتيها كيلا تصرخ.



وما ان وصلت السيارة الى الطريق الرئيسية حتى اسرعت. وبالتالي خفت عدة الارتماجات وفكنت ديانا من الجلوس بطريقة مريحة بعض الشيء. وكانت تعرف ان الطريق سيستغرق اجتيازه نصف ساعة تقريباً. وكى تتحاشى الاصابة بنشيج، توصلت الى ارجاء قدميها بعض الشيء. حتى الآن، كل شيء يجري حسب الخطة المرسومة.

لكن بعدما تصل الى بونو، ماذا ستفعل؟ ادركت انها لم تفكر في ذلك من قبل. فلم يكن لديها سوى فكرة ثابتة وهي مغادرة المزرعة. هل في امكانها ان تغادر السيارة من دون ان ينتبه لها السائق؟ انها تشك في ذلك. لكن ماذا لو سمعها؟ هل سيؤدي ذلك الى نصف خطتها؟ ومتى خرجت من السيارة، كيف ستجد طريقها الى الفندق؟

لم تكن بونو مدينة كبيرة. يمكنها ان تسأل احد المارة فيد لها الى الطريق. وحتى لو حاول لويس غيبارمو اللحاق بها في الشارع، فلن يستطيع خطفها امام الناس.

هل هي متأكدة من ان ذلك لن يحدث؟ في كل حال، الأكوادور مثل معظم بلدان اميركا الجنوبية اللاتينية، بلد غريب. وتعتبر الحوادث غير المألوفة كأنها حوادث عادية جداً. فإذا اقتربت منها سيارة تمر في الشارع، وقفز منها رجل واقتادها الى داخلها، فالجميع ينظرون الى ما حدث كأنه شيء عادي وتافه.

وقررت في النهاية ألا تترك لمخيلتها العنان. كل شيء يأتي في وقته ويمكنها ان تنتظر المشاكل حتى تقع وتحاول حلها.

انعطفت السيارة في كورع حاد وادركت ديانا ان السيارة اجتازت جسراً ولن يبقى امامها سوى جسرين لتقترب من مدينة بونو. شعرت بقشعريرة يرد ذلك ان مكيف الهواء يعمل باستمرار داخل السيارة الفخمة.

ماذا ستكون ردة فعل جايسون عندما تطلعه ديانا على مغامرتها الصغيرة هذه؟ هل سيضحك؟ هل سيكون في بونو لتخيره قصتها هذه؟ أه، انها تأمل ذلك من كل قلبها. أراحت رأسها على ركبتها وراحت تحلم بأن تراء في الفندق لدى وصولها. اذا كان هناك فلا بد انه قرأ رسالتها وسيقاها اذ يراها تعود بهذه السرعة؟ هل سيكون سعيداً لرؤيتها؟ هل سيكون مستعداً للتنازل عن عتقواتها ويأخذها بين ذراعيه ويعانقها؟ هل سيكون مستعداً لأن يحبها من جديد بقدر ما هي تحبه؟ أه، انها تأمل ذلك من كل قلبها.

قطعت السيارة الجسر الأخير واتجهت نحو الطريق المنحدرة التي تصل بها الى بونو. كانت الكيلومترات الباقية تبدو وكأنها أطول من دهر. أخيراً وصلت السيارة الى المدينة. ومن مخياها كانت ديانا تراقب سقوف المنازل. دخلت السيارة عبر الطريق الضيقة وأخيراً توقفت. وعرفت ديانا ان السيارة وصلت أمام معمل لويس غيبارمو.

راح السائق يصفر لحناً لم يتوقف لحظة عن ترديده طول الطريق. وقد حفظت ديانا اللحن وهي متأكدة انها لن تنساه أبداً. انتظرت، لا تعرف ماذا تفعل. وبعد دقائق بدت طويلة، فتح جوزيه الباب وخرج ثم أقفله وراءه وابتعد عن السيارة.

رفعت ديانا رأسها قليلاً ونظرت الى الخارج. رأت رجالاً يخرجون من المعمل. وشيئاً فشيئاً فمكنت من التمييز من مخياها وشعرت بأنهم حاد في قدميها. فتحت الباب بسرعة ومن دون ان تلتفت الى الوراء لثري ما اذا كان جوزيه قد شاهدها. خرجت وأقفلت الباب وراءها واختلطت بالمارة وبالعالم.

وبسرعة وصلت الى الطريق العام وعرفت انها ليست في حاجة لأن تسأل أحداً كي يدها الى الطريق للوصول الى الفندق. كانت فرحة

جداً لنجاح خطتها وراحت تصرع الخطي غير مصدقة أنها ستصل الى الفندق.

الغيوم الرمادية تنكس في السماء. والمدينة تغرق في العتمة والعاصفة تقترب.

وفي سوق الخضار، نفدت بضائع الباعة الهنود بسرعة. سيارات الجيب التابعة للشركة النفطية تتوقف أمام الحانة. والرجال بهذلات العمل ينزلون منها ويندفعون داخل المقهى.

عندما رأت ديانا الكنيسة القديمة عرفت أنها أصبحت قريبة جداً من الفندق. راحت تحت خطاها ووصلت أمام الساحة وصعدت السلالم القليلة التي تؤدي بها الى مدخل الفندق. وكان على شرفة الفندق عدد كبير من الرجال الجالسين أمام طاولاتهم يحضون الشراب المنعش في هذا الطقس الحار. احدهم تحرش بديانا وأخذ يناديها بالاسم. وراح الجميع يقهقهون بأعلى الصوت.

كانت الغرفة مظلمة عندما دخلتها ديانا. أشعلت النور. وشعرت لتوها ان قواها تكاد تحور. بعد هذا التوتر الذي رافقها طيلة رحلة الهروب. كانت ثيابها ملتصقة بجدها بسبب العرق الذي تصيب منها وكان شعرها مبللاً. احتست كأساً من المياه المعدنية ولاحظت في تلك اللحظة ان الرسالة التي تركتها لجايسون اختفت.

نظرت حولها وشاهدت ثياب رجل معلقة في الغرفة.

لقد عاد جايسون!

راح قلبها يخفق بسرعة. ثم خلعت ملابسها في محاولة لتهدئة عضابها من شدة فرحها. بالنسبة الى الحاضر فهي لا تنتظر منه أي صرف حسن. اذ أن المشاكل بينها لا تزال عالقة.

راحت تفتش في خزانة عن فستان ترتديه. وإذا بها تكشف انه لم

يكن عندها أي شيء ترتديه. كل ملابسها بقيت في المزرعة. ولم تجد شيئاً تلبسه سوى ثوب السباحة الذي وجدته في احد الجوارير. انه اللباس المناسب في هذا الطقس الحار.

انفتح الباب. وظهر جايسون على عتبة. يرتدي قميصاً بيضاء وبنطلوناً قصيراً. كان يحمل في يديه زجاجة ماء، وكأساً وإبريقاً مليئاً بعصير الفاكهة. أقفل الباب بضربة من قدمه ونظر اليها. وقال في استغراب.

«اهلاً، ما هذه المفاجأة. ما الذي جعلك تعودين بسرعة؟»

وضع الكأس على الطاولة وسكب فيها بعض العصير. ثم سألها في لامبالاة:

«أتريدين؟»

«ماذا تشرب؟»

«بعض العصير المشايخ»

«نعم، أريد».

قال وهو يتمدد على السرير:

«ما عليك إلا ان تسكبي لنفسك كأساً».

أخذت ديانا كأساً وهي تنظر اليه من زاوية عينيها. كانت كفتاه العريضتان تلمعان تحت ضوء القنديل الموضوح على الطاولة قرب السرير. وكان العرق يتصبب على جبينه.

شعرت ديانا ان وجودها قريبة منه يحرضها. فابتعدت عنه بعض الشيء. ووقفت أمام النافذة.

كانت تشعر كلها اقتربت منه بجاذبية قوية من تأثير سحره الغريب. وهي لا تريد ان تجد نفسها في موضع ضعف. عليها ان تسيطر على نفسها. قاطع جايسون حيل تفكيرها وقال وهو يتشاءم:



«لم تحبيني عن سؤالي. لماذا عدت من المزرعة؟»

«لا راك».

«أتريدين أن أصدقك؟»

«هذه هي الحقيقة».

أجابها في استخفاف:

«هل انت متأكدة من ذلك؟»

لم تعرف ما تقول. نظرت اليه وجهاً لوجه، مما جعله يقول:

«أعتقد أننا نعرف جيداً هذه التمثيلية، لكن في المرة الماضية كنت أنت

التي لم تصدقيني عندما كنت أقول الحقيقة. والآن جاء دوري. ما هو

موقفك حيال انسان يرفض أن يشق بك؟»

خيل اليها أنها تعيش كابوساً. تقدمت منه وسألته بخجل:

«هل قرأت الرسالة التي تركتها لك هنا قبل ذهابي؟»

أجاب ببرود:

«نعم قرأتها. وفهمت انك ذهبت قمضين بضعة أيام مع لويس

غيبارمو. لكنني أرى الآن إنك لم تصيري على انتظار عودتي».

«لكن قلت لك اني سأعود. كما أخبرتك انه يدعوك للحاق بنا».

نظر اليها بارتياح وسكب كأساً أخرى من دون ان يرد.

«آه يا جايسون. لا اظنك تعتقد بأنني... اني ذهبت معه لأنه

يعجبني... هو وأنا... آه لا يا لأفكارك الشريرة»

عادت الى النافذة. كانت الحشرات تتطاير في كل الاتجاهات

وتحاول الدخول الى الغرفة برغم وجود شريط يمنعها من ذلك. وعادت

ديانا تقول في هدوء:

«أنت تعرف جيداً ان لويس لا يعني شيئاً بالنسبة إلي. فلم أعرف

اليه سوى البارحة».

«كل ما أعرف عنه انه يحب النساء ويفرهن برغم سنه. كما أعرف انه

يختار عشيقاته من بين النساء الشابات والمتزوجات. يتجنب هكذا

اتهامه بأغواء الفتيات الشابات، على ما اعتقد».

«أذن، عليك ان تعرف ان لويس لم يجذبني ولا لحظة. وليس ينبغي

ان أكون عشيقته، ولا عشيقة أي انسان آخر انا لا احبه. واليوم هربت

من مزرعته حتى لا أمضي ليلة أخرى معه تحت سقف منزل واحد.

وعدت كي اراك. أرجوك ان تصدق ما اقول».

أجابها جايسون بنبرة ساخرة:

«وماذا بعد؟»

وشعرت ديانا أنها واحدة من هذه الحشرات التي تحوم حول

السياج قرب النافذة. فهي غير قادرة على عبور الحاجز. نظرت نحو

الساحة وكانت الكنيسة مضادة بالشعوع. وكان المنظر موهناً للغاية.

فسألته ديانا:

«اما زلت لا تصدقني؟»

«لماذا يجب ان أصدقك؟ أنت قادرة على الكذب مثل أي امرأة أخرى.

تنطقين بالكلمات بسهولة، ووراء الكلمات الكبيرة، فراغ كبير. مثلاً،

غالباً ما قلت لي: احبك يا جايسون. لكن عندما وجدت نفسك أمام

امتحان حقيقي، كنت غير قادرة على مجابهة الوضع. انك لم تحبيني، لم

تعبي سوى فكرة ان تكوني زوجتي. كنت فخورة بزواجك، أمام

صديقائك».

توقف عن الكلام كأنه شعر بالاشمزاز. وشعرت ديانا بالملامة

النصاعدة من كلماته.

اشعل جايسون سيكارة فبادرته ديانا:

«لم تكن تدخن...»

«لم أكن ادخن عندما نكون معاً. وأنت استتجيت اني لا ادخن ابداً. انت مخطئة في ذلك وفي أمور أخرى عديدة. أه، انت تعتقدين اني ادخن لأنفس عن هتومي او لأنسي شيئاً ما، في كل حال لست مخطئة تماماً. اني فعلاً أحاول أن انسى أمراً ما منذ بضعة أشهر لكنني لا أدخن لهذا السبب».

«ماذا تحاول أن تنسى؟»

«امراة كنت اعرفها».

سألته ديانا من دون أن تجرؤ على النظر اليه:

«وتدعى كارول؟»

فوجيء جايسون وقال في استغراب:

«كارول؟ من هي؟»

كانت مفاجأته صادقة. فاستعادت ديانا قليلاً من الأمل وأضافت وهي تلهو بخافتها:

«انها المرأة التي قابلتها في باريس. لقد كتبت لك وطلبت منك الحضور».

سادت فترة من الصمت. ثم قال جايسون في هدوء:

«كيف عرفت ذلك؟ لم اخبرك شيئاً عنها».

عرفت ديانا ان ساعة الحقيقة دقت. في هذه الليلة ستوضح الأمور بينها. وربما تمكنا من التوصل الى قرار يتعلق بمستقبلها.

«في اليوم الذي سافرت فيه الى هيوستن، سقطت رسالتها من جيب قميصك و...»

قال جايسون بهدوء:

«وقرأتها».

«نعم».

بقي جايسون صامتاً بعض الوقت، ثم قال في حدة جعلتها ترتجف:

«لماذا لم تخبريني بذلك، قبل رحيلي؟»

«لأن... لأنني اعتقدت انك ستغضب مني وتتهمني بالشحس عليك. أه يا جايسون، أتوسل اليك... اني أسفة لأنني قرأت محتويات الرسالة، لكن يكفي ما قاسيت من عذاب، أرجوك لا تدعني أسقط في العذاب من جديد».

وضع جايسون رأسه بين يديه وقال:

«يا الهي، عندما افكر في الوقت الذي هدرناه...»

توقف وأخذ نفساً عميقاً ونظر الى عينيها وأضاف قائلاً:

«اذن، هذا هو السبب الذي جعلك لا تصدقيني».

هزت رأسها ايجاباً. كانت عاجزة عن الكلام وكان ينظر اليها كأنه يرغب في ان يصفعها.

«وجعلتني أعتقد ان السبب عائد لما قالته لك اونيس، لأنك كنت تشكك بها أكثر من ثقتك بي».

«وأنت أيضاً لم تكن تشك بي».

«من قال لك ذلك؟ غير صحيح».

«أنت... لقد قلت يوماً ان زواجاً كزواجنا يجب ان يستند على الثقة المتبادلة. لكن لو كنت تشك بي فعلاً، لكنت أخبرتني من تكون

كارول ولماذا ذهبت اليها في باريس».

تشهد جايسون بعمق وقال بصوت واضح:

«حسنًا... لنبدأ من جديد».

«حسنًا».



وعرفت ديانا أنها أمام الفرصة المنتظرة وقالت:

«أيمكنك ان تقول لي من هي... كارول؟»

«ابنة خالي، هي من تكساس، انها أصغر بنات خالي بيل. عندما كنت أعيش معه، كنا دائماً معاً. وكارول بالنسبة إلي بمثابة أختي الصغيرة.»

تنهد جايسون بعين قبل ان يتابع:

«انها تدرس في جامعة السوربون في باريس، لنيل شهادة الدكتوراه في اللغات، ولذلك فهي تسكن العاصمة الفرنسية. تريد ان تعرف لماذا ذهبت اليها.»

همست ديانا في خجل وعدم ارتياح:

«اذا اردت ذلك، فلا مانع.»

«كانت تمر بوضع حساس، حدث لها شيء ولم تكن تريد ان يعرف به أحد. طلبت مني ان ازورها، لأنها كانت تعتبرني الانسان الوحيد الذي يمكنها ان تتق به. وما استطعت ان أخذلها وأرفض طلبها. وكنت أمل ان تكوني متفهمة.»

تردد قليلاً ثم أضاف في صوت خفيض:

«لم أكن أعرفك جيداً.»

ماذا يعني بذلك؟ هل يعتذر الآن لأنه لم يكن يثق بها تماماً ليخبرها عن كارول؟ او حتى لو كان يعرفها جيداً لما وثق بها كما يجب؟ لم تفهم ديانا جيداً ماذا يقصد، لكنها قررت ان تطلب منه ان يفرها الغلطة التي ارتكبتها.

«وأنا أيضاً، لم أكن أعرفك جيداً. والأما تصرفك هكذا...»

توقفت عن الكلام اذ اغرورقت عيناها بالدموع. كل هذه الأشهر الماضية التي افسدتها أسباب سخيفة من سوء التفاهم والكبرياء

العتيد. ثم تابعت وهي تمسح دموعها:

«أين كارول، الآن؟»

«في تكساس، عند اهلها. وحسب رسالتها الأخيرة، فالطفل في صحة جيدة.»

قالت ديانا بتعجب:

«الطفل؟»

«نعم. هذه كانت مشكلتها. أعتقد اني قادر الآن ان اشرح لك الأمر. كانت كارول تحب رجلاً فرنسياً. وعندما أخبرته انها حامل، تركها. كان متزوجاً ولم يقل لها ذلك. عندما بعثت لي الرسالة كانت في أشد حالات اليأس، تريد الانتحار، ليس لأنها كانت حاملاً، انما لأن الرجل الذي أحبه تخلى عنها.»

أغمض جايسون عينيه وراح يمسح عن وجهه العرق المتصبب. فلم تقل ديانا شيئاً بل كانت تنتظر، اذ أدركت انه بات مستعداً لاطلاعها على كل اسرارها.

«هل تفهمين الآن لماذا لم أكن قادراً على ان اخبرك شيئاً. كانت المسألة مسألة ثقة بيني وبينها. وجودي معها في باريس خلف عن ألامها، وساعدها على ترتيب امورها وعودتها الى تكساس. رافقتني الى المطار. كانت قد ارتاحت وشكرتني من كل قلبها. اعتقد ان في تلك اللحظة بالذات شاهدتنا اونيس معاً.»

شعرت ديانا بالحجل والندم في أن. فقد اعتقدت ان جايسون ذهب الى باريس لأنه على علاقة عاطفية مع فتاة تدعى كارول. ولم تكن تعرف ان كارول هذه ابنة خاله، التي كانت في حالة يأس، ساعدها جايسون في التخلص منها.

قالت ديانا وهي ما زالت تبكي:

«آه لو أنني عرفت الحقيقة قبل الآن».

وراحت تقول في نفسها: لقد ارتكبنا غلطة كبيرة لأننا لم تبادل الثقة ودمرنا حيناً هذا الحب الفتي، الطري، الذي لم يسع الوقت لأن يصبح حياً قوياً وأكيداً».

في الخارج هبط الظلام، والغرفة مضاءة فقط بالمصباح الكهربائي الصغير الموضوع على طاولة قرب السرير. كانت ديانا جالسة على حافة السرير، لا يفصلها سوى مسافة قليلة، يكفي أن تمد ديانا يدها لتلمس قدميه وتداعيها.

شعرت بأنها ستجرف أمام أحاسيسها ورغبتها، فنهضت وتوجهت إلى النافذة من جديد.

في الخارج، الهواء يصعب تنفسه من شدة ثقله، والليل الاستوائي كثيف بحيث شعرت ديانا أن جسمها يكاد ينهار.  
قالت ديانا فجأة قاطعة جل الصمت الثقيل:  
«لا بد أن ثمة احتفالاً أو عيداً، في مكان ما».

«اتهم عمال التنقيب، لقد وجدوا طبقة نفطية مهمة، وهم يحتفلون بهذا الاكتشاف».

«ألا تشعر برغبة في الالتحاق بهم؟»

أجابها بحدّة:

«لا أرى أية مناسبة لأقامة مهرجان».

«ألم تقل أن الأبحاث نجحت؟»

«من دون شك»

فوجئت ديانا من عدم اهتمامه بالموضوع. لقد كانت تتصور أن عمله هو قبل شيء، حتى قبل زوجته.

«هل هذا يعني أن عملك في - الأكوادور يوشك على أن ينتهي».

«لا أعرف شيئاً».

أجوبته المتتضبة بدأت تثير فيها الغضب، لكنها قالكت نفسها: عرفت بعد هذه التجربة أن الغضب جايسون لا يجدي. سألت: «أين قررت أن تكون رحلتك المقبلة؟»

ظنت ديانا أن جوابه قد يكشف النقاب عن حقيقة عاطفته تجاه روزا، الآن وقد عرفت من تكون كارول، تريد أن تعرف من هي هذه المرأة التي يحاول أن ينساها، ربما تكون روزا.  
أجابها جايسون:

«أني أنوي البقاء في الأكوادور، أحب البلاد وأحب أهلها، وكذلك فقد ولدت هنا وتوفي والدي هنا أيضاً. أشعر بأن جذوري في هذه الأرض. وتذكرت ديانا أنها سألت جايسون يوماً، ما إذا كان ينوي إيجاد عمل مستقر، فأجابها: ليس الآن، لست مستعداً لذلك بعد، لكن في يوم من الأيام، ربما، لكن ليس هنا، ليس في أنكلترا».

والآن، يبدو أنه مستعد لذلك. لقد قرر البقاء هنا في هذا البلد الغريب. هل من أجل شخص معين؟ هل لأنه يحب روزا؟  
وأضاف جايسون يقول:

«سأبقى في المؤسسة ذاتها».

سألته ديانا:

«أهذا هو السبب الذي جعلك تفكر بشراء بيت في كيترو؟»

«من قال لك ذلك؟ ألا يمكن للإنسان في هذا البلد أن يحتفظ بشيء لدا؟»  
«جيزدا، صاحبة الفندق أخبرتني بذلك. وهي تعتقد أنه لهذا السبب بالذات جئت إلى هنا».

أجابها بضحكة ودية:

«صحيح. كنت أفكر في شراء منزل، لكن ذلك كان منذ مدة طويلة».



كنت اخطط لشاريع وهمية كنت احلم بأن يكون لي منزل أستقر فيه مع اولادي».

«ومن كنت تريد ان تكون ام اولادك، روزا غيبارمو»

انفض جايسون في غضب وأمسك بذراعها. وبسرعة وضعت ذراعها الأخرى فوق عينيها تفادياً لأية ضففة.

«كلا، كلا، لا تخافي. أنا لا اضرب النساء، حتى لو كنت تستحقين ذلك، اذن، لم يتغير شيء. السنة الماضية، كانت كارول في باريس، وهذه السنة روزا في الأكوادور. الفارق الوحيد هو انك هذه المرة لست في حاجة اونيس لتلفتك دور المرأة الغيرة».

كانت عيناه الزرقاوان تطلقان بريقاً غريباً. ووجهه اصفر كالرخام وبدأت قطرات العرق تتصبب على جبينه.

تلعثت. ديانا وهي تقول:

«جايسون... انا أسفة... انا... ما... كان يجب ان اقول ما قلته الآن». «ولكنك قلته. والآن أعرف كيف تنظرين إلي. انت بالذات، لا أحد سواك».

«لا، لا، ليس أنا. انها روزا. لقد امضت النهار كله وهي تخبرني عنك. قالت لي انها جعلتك انساناً سعيداً. وكانت تعزف لك على الفيشارة وتأخذك في نزهات على ظهر الحمار. اني... اني اكرهها. ولهذا السبب لم ابق في المزرعة».

قطب حاجبيه وعض على شفتيه. وعرفت ديانا انها لمست الحقيقة.

وفجأة، سألتها جايسون، في نبرة شبه هادئة هذه المرة:

«وماذا قالت أيضاً؟»

«طلبت منك ان تتزوجها. ولم تكن تعرف انك رجل متزوج. فلم تخبرها

بذلك. ولم تخبر أحداً بذلك. وأنا لا أفهم لماذا».

انتظرت من جايسون تفسيراً على ذلك. لكنه اكتفى بهز كتفيه. فتأبعت ديانا تقول:

«عندما عرفت من أكون، تصورت اني جئت الى الأكوادور لأطلب منك الطلاق».

«اذن، كوني صادقة، لمرة واحدة. ألم تفكري بالطلاق؟»

اعترفت ديانا نادمه:

«بلى. والمسؤول عن ذلك شخص آخر».

«اونيس؟»

«نعم، وبول».

ضحك جايسون وقال:

«أه، أوه لا استغرب».

«لماذا؟ لماذا تقول هذا؟ ماذا تعرف ما لا أعرفه؟»

استدار ونظر اليها وجهاً لوجه. كان يبدو كأنه ينظر الى فتاة صغيرة تحتاج الى بعض النصائح. مثل ابنة خاله كارول. عندما استجذبت به ليساعدها. وشعرت ديانا فجأة بأنه لم يكن يتوجه الى زوجته بالحديث بل الى شقيقته الصغيرة. أجاب قائلاً:

«اني أعرف أشياء كثيرة عنها. انت تعرفين اني اعرفها قبل ان التقي بك. اونيس. وانا خرجنا معاً، مرتين او ثلاث مرات وحضرنا بعض الحفلات الموسيقية. لكنها لم تكن تناسبني».

وعرفت ديانا لماذا كانت اونيس تغار منها. اونيس تحب

جايسون! ولهذا فهي حاقدة لأن جايسون تزوج ديانا!

«أما بول، فكان يفضل ان يتزوج ابنة مديره. يعني أنت. وهكذا

يؤمن مستقبله في مؤسسة متينة. أي انسان آخر كان قادراً على ادراك

الأمر إلا أنت. أنت الفتاة المسكينة البريئة.

تنهد ورفع عن جبينه خصلة شعره المتفرقة وأضاف:

«لهذا السبب جئت؟ أما زال بول يريد أن يتزوجك؟ وأنت، هل ستتزوجيه، عندما تتخلصين مني؟»

قالت ديانا بعنف:

«قلت لك اني لم اكن على علم بوجودك هنا في الاكوادور».

«لكن كريستوفر كان يعرف جيداً اني موجود هنا. ألم تخبريه عن مشاكلنا؟»

«اسمعني يا جايسون، اقترح والدي ببساطة ان امضي عطلتي برفقته. هل تحاول التخلص مني حتى تستطيع الزواج من روزا؟»

هي المرأة التي تحاول ان تنساها؟ هل من اجلها فكرت بشراء منزل؟

حول جايسون نظره عنها واتجه نحو الباب. ثم توقف وسألها:

«اذا قلت لك نعم، هذا ما أريده، ماذا تفعلين؟»

وبدورها حوكت نظرها عنه حتى لا يرى الحزن العميق في عينيها. ها هي اللحظة التي كانت خائفة منها. حان الوقت لأن تتخذ أصعب قرار في حياتها. كانت يداها ترتجفان وقلبها يخفق بسرعة. ثم راحت تنظر الى السماء المكثفة بالغيوم.

سألها جايسون في صوت خفيف:

«هل تحتاجين الى كل هذا الوقت لتردي على سؤالي؟»

«اني... اني اوافق على الطلاق، حتى تتمكن من الزواج منها».

عم صمت متوتر. وراحت السماء تيرق والرعد يدوي.

سألها جايسون:

«هكذا من دون تردد؟»

«نعم»

فقال بصوت حاد:

«انك حقاً انسائه شهمة وكريمة».

استدارت لتجابه وجهاً لوجه. كان قريباً منها حتى كانت قاذرة على ان تتنشق رائحة عرق جلده وتنفسه. فلم يكن لديها سوى رغبة واحدة: ان ترتقي في ذراعيه وتضمه اليها بشدة. لكنها تراجعت خطوة الى الوراء.

أكمل جايسون كلامه:

«ما دمت سخية الليلة، يمكنك أن تفعلي شيئاً من أجلي».

«نعم، ماذا؟»

رجعت الى الوراء خطوة ثانية. وهو يقترب منها من جديد. فقالت بعصبية:

«والدي قال لي ان علينا ان نتناقش معاً. وحسب رأيه، انها الطريقة الوحيدة من أجل تسوية الأمور».

«والدك رجل عاقل. وانا سعيد لأنه قرر ان يصطحبك معه. لكن الكلام ليس وحده وسيلة التعبير».

وراح جايسون يداعب ذقنها بلطف. ثم امتدت اصابعه نحو عنقها. فشعرت ديانا بقشعريرة تجتاز جسمها كله. أحنت رأسها وهست:

«ماذا تريدني ان أفعل؟»

«ما كنا نفعله عندما كنا معاً. شيء انتظره منك، ما دمت زوجك».

وبضغط خفيف على يدها، جعلها تقترب منه. لكنها وضعت يدها على صدره لتبعده عنها. من المستحيل ان تدعه يلمسها، بعدما طرحا

موضوع الطلاق. وهست بتصميم وعزم:

«لا، لا، يا جايسون»



«لم لا؟ ما زلنا متزوجين، وما نفعله ليس ضد القانون، انما بالعكس. في كل حال، نحن الآن في بنون، والليل عاصف...»

لا، لن تدعه ينام قريباً ما دام لا يحبها. لم يفكر بشيء آخر منذ ان غرقت. والليلة، بعدما غاد من الأدغال، يبحث عن شيء يلهو به. وها هي زوجته يقربه، في تناول يده.

قالت ديانا وهي تتخط لتتخلص منه:

«لا»

لكنه ظلّ يشدها بين ذراعيه وحاول ان يعانقها لكنها ظلت تحاول التخلص منه.

«لا، أرجوك دعني، هناك أشياء كثيرة يجب ان توضحها قبل... أو يا جايسون ألا تفهم؟ اني لا اقدر لا اقدر»

اجابها بسخرية:

«صحيح. في هذه الحال علي ان افكر بوسيلة لأنتعك بذلك، اليس كذلك؟»

«إذا، اذا لجأت الى القوة، فلن اسامحك ابداً».

وراح جايسون يهز في اذنيها:

«لكن يجب ان تعرفي، انه بعد كل ما حصل، لا أبالي ما اذا ساهمتي او لم تساهمتي».

قررت ديانا ان تستسلم له في البداية لتجد مناسبة للافلات منه. ظلت تضربه على كتفيه وتدير وجهها عن وجهه. لكن بدون جدوى.

ولم يسمعا هبوط المطر الذي كان يقصف سقف الشرفة. كانا منجرفين في سيل حبهما، حتى انهما نسيا ما يجري في العالم الخارجي. وبعد هدوء العاصفة، شعرت ديانا بجوع يمزق معدتها، فسألها

جايسون:

«اني اسمع ضجة غريبة».

«انها معدتي. اني جائعة. فلم أتناول طعام الغداء».

«لماذا؟»

كانت ديانا تنظر اليه بعينين مليئتين بالنعاس. كانت جلده السمرات تلمع تحت ضوء الفنديل، وجسمه كان يشبه جسم رجل رياضي.

وراحت ديانا تخبره عن هربها من المزرعة. وكان هو يداعب ذراعها وفي الوقت نفسه يصغي الى ما كانت تقوله. وبعد أن أنهت قصتها، فهقه جايسون وقال:

«لا بد ان لويس غيبارمو فقد عقله! انه يبحث عنك في كل مكان، من دون اي شك».

«ربما يجب ان نتصل هاتفياً ونخبره اني هنا في الفندق واني على ما يرام».

اجابها جايسون وهو يتوجه نحو الباب:

«كلا، دعيه يقلق، ما حدث يجب ان يكون درساً له».

سألته ديانا خائفة:

«الى أين أنت ذاهب»

ضحك بسخرية:

«سأجلب لك شيئاً تأكلينه، لاسكات معدتك. وانا أيضاً جائع. لا تخافي. اني عائد. فلم ينته الليل بعد».

أين سيكون؟

لقد رحل. وليس في ذهنها أي فكرة عن امكان العثور عليه، او متى  
سيعود. وهل هو عائد؟

انها تحبه. وهي متأكدة انها لن تحب رجلاً غيره حتى وان تخلى عنها.  
ولذلك تشعر الآن بالغيرة تنهشها. لم تعد تغار من كارول، بعد ان  
عرفت من تكون، بل هي تود ان تتعرف اليها وعلى ولدها.

تمنى ان يكون لها ولد من جايسون!

تذكرت ديانا فجأة زدة فعل جايسون عندما لفظت اسم  
روزا، غضب، لماذا غضب؟ هل لأنه يحب هذه الفتاة الصغيرة؟  
لم تعرف حتى الآن ما اذا كان جايسون يريد الطلاق منها،  
ليتزوج من روزا.

هذا هو جايسون: انسان حر، يتحكم بنفسه، تتغذر السيطرة عليه.  
وهي تحبه هكذا، لو كان انساناً مختلفاً لما أحبته. تخاف ان تخسره الى  
الأبد!

احست ديانا بالجوع، فنهضت من سريرها وارتدت الفستان  
الذي ارتدته أمس بعدما غسلته. انه الفستان الوحيد التي تملكه هنا في  
بونو فكل ما تبقى موجود في المزرعة وفي منزل ماريلا في كيتو.  
وتذكرت ديانا لويس غيبارمو. لا شك انه خائن وخائف معاً.  
كان يجب على جايسون ان يعلمه بأمر عودتها، لماذا رفض. لا بد انه  
لا يحب لويس لسبب غامض.

نزلت ديانا الى الطابق الأرضي والتفت وجهاً لوجه صاحبة  
الفندق، فوجئت جيردا عندما رأتها وقالت:  
«يا ابي! انت هنا»

## ٧ - الوجه الآخر لسيد المزرعة

أطلقت ديانا زفرة واستيقظت، من دون ان تفتح عينيها. مدت  
قدميها وشعرت بالصفاء والاسترخاء والسعادة... حاولت اطالة هذا  
الاحساس، وابستمت لنفسها عندما تذكرت سبب هذه السعادة.  
مدت يدها في اتجاه جايسون وهي ما زالت مغضبة العينين.  
لكنه لم يكن قريباً. وللحال فتحت عينيها وانتصبت واقفة. لقد رحل.  
أصبحت بضمة وهبطت من سريرها وراحت تفتش عن أغراض  
جايسون. لا شيء. كلها اختفت، اذن فقد غادرها بصورة نهائية.  
وراحت تبحث في كل انحاء الغرفة علها تجد رسالة منه، لكن عبثاً.  
أطلقت زفرة مرة وراحت تجر قدميها حتى وصلت الى السرير  
وسقطت فيه وتقوقعت تحت الدثار.

وكما قال جايسون، مساء أمس لا شيء تغير، كما في الماضي،  
علاقتها تتجدد بلبلة واحدة أو أكثر، ثم يليها الاختفاء المفاجيء،  
ويتم كل شيء قانونياً، فهناك عقد زواج طبقاً للأصول، وهذا يعني،  
ان ما حلمت به، بأنها توصلأ أخيراً الى الاقتناع بضرورة اقامة زواج  
حقيقي، لن يتحقق.

ان رحيل جايسون المفاجيء دمر كل امانيها وأحلامها. لو كان  
يعيها فعلاً، لطلب منها ان تراقبته، لماذا لم يقل لها انه مضطر الى  
الذهاب غداً صباحاً؟ او على الأقل لماذا لم يترك لها رسالة يشرح فيها



«نعم، عدت البارحة بعد الظهر ألم يقل لك جايسون اني عدت؟»  
«لم اراه».

«لم تره صباح اليوم».

«لا، لكن أعرف انه سيفادر الفندق اليوم، اذ سدد الفاتورة البارحة، كما دفع عنك مسبقاً، ليلتين اضافيتين، هل هذا يناسبك، يا سيدة كلارك؟»

«اووه... نعم، نعم، اعتقد ذلك».

لم تفهم ديانا شيئاً، لماذا لم يطلعها جايسون على هذه الأمور؟ وأكثر من أي وقت آخر، تأكدت ديانا انه قرر التخلي عنها الى الأبد. أضافت جبردا تقول:

«لكن لم أفهم، جاء السيد لويس غيبارمو بنفسه منذ بضع دقائق ليسأل اذا كنت هنا، قلت له انك ما زلت في المزرعة، فبدأ عليه الانزعاج، ماذا فعلت له حتى صار في هذه الحالة؟»

«أين هو الآن؟»

«في المستشفى، ذهب ليبلغ والدك انك اختفيت، وانك لا شك ضائعة في الأدغال التي تحيط بالمزرعة».

«أو لا».

أسرعت ديانا نحو الباب فنادتها جبردا:

«الى أين أنت ذاهبة؟ يجب ان تخبريني، ربما جاء احد يسأل عنك ويجب ان أعرف أين سيجدك».

«في المستشفى».

أسرعت قدر الامكان، لكن الطريق كان مستنعاً حقيقياً، وكانت ديانا تشعر في الماء الموحلة، لكنها لم تبال، تريد ان تفصل الى

المستشفى قبل ان يتبلغ والدها نبأ اختفائها.

أمام المستشفى، شاهدت سيارة الكاديلاك وأمامها يقف جوزيه ويضفر، فلم يرها تدخل.

سمعت اصوات شجار باللغة الاسبانية، وشاهدت لويس غيبارمو يتناقش مع ممرضة مختصة في قاعة الانتظار ويلوح بيديه، ولما سمع صوت الباب التفت الى الوراء، فهل وجلى فيها وقال:

«يا إلهي! هل انت ديانا، حقاً؟ لست مصابة بشيء ما؟»

«اني على ما يرام».

«أين كنت؟ كيف وصلت الى هنا؟ يا إلهي، لم امض ليلة بيضاء كهذه من قبل، حتى ليلة ولدت روزا، لقد اعتقدت انك ضعت في الغابة، وكنت اتسأل كيف سأخبر والدك وجايسون بالأمر».

«اني أسفة يا سيدي، لكنني لم أقدر ان ابقى في مزرعتك بعد المعلومات التي أطلعتني عليها روزا».

«روزا؟ ذهبت بسببها؟ لكنني لا أفهم، فهي خائفة جداً من ان تكوني ضعت في الأدغال، عندما اكتشفت انك لم تكوني في المنزل، يجب ان تخبريني ماذا قالت لك».

ألقي لويس نظرة الى الممرضة التي كانت تراقبها بفضول.

«حاولت ان أرى والدك، لكن هذه الممرضة رفضت ان تدعني أدخل، الظاهر ان مواعيد الزيارات لم تكن بعد، ما هذا النظام غير المعقول؟ لا يمكننا ان نستمر في الحديث هنا، تعالي الى السيارة».

«شرط ان تعدني، ألا تخطفني».

قال في دهشة:

«أنا؟ لن اخطفك لأي سبب كان، يا سيدي، خاصة بعدما عرفت انك انت

إنسانة متعبة. وكذلك هذه الأمور لم تعد تهمني. لو كنت أصغر  
بعشرين سنة، لكان الأمر مختلفاً. لكن اليوم، أفضل حياة هادئة. تعالي،  
لنخرج».

قالت ديانا وهي تشبه:

«لم أتناول بعد فطور الصباح. ما رأيك لو نذهب إلى الفندق. أعتقد أن  
لا مانع لديك؟ يمكننا هناك أن نتحدث، بينما أستعيد قواي من جديد.  
ويمكنك أن تأخذ معي فنجان القهوة».

أجابها ميدياً استياءً:

«أني أعرف أماكن أفضل من تلك لتناول القهوة، لكنني أوافقك عن  
طبيعة خاطر».

وفي الفندق، لم تكن زيارة سيد «السكر» خفية من دون أن يلاحظه  
أحد. وكانت السيدة جيردا، صاحبة الفندق، فرحة بوجوده في مقهى  
الفندق، وتصر على معرفة رأي زبونها العظيم في نوعية القهوة التي  
قدمتها إليه. أما هو فكان غاضباً، فأجابها بنبرة خاطفة:

«نعم، نعم، يا سيدتي، إن القهوة لذيدة الطعم. أما الآن فأرجوك أن  
تتركتنا».

وما أن خرجت جيردا من غرفة الطعام حتى انحنى لويس نحو  
ديانا وسألها:

«والآن يا ديانا، أرجوك، أخبريني كل شيء. لماذا تركت المزرعة؟  
وكيف تمكنت من الوصول إلى بونوا؟»

وفضلت ديانا ألا تخبره عن تصرف روزا، واكتفت بأن اطلعت  
على تفاصيل هربها. فكان يراقبها وهي تتكلم وكانت انفعالاته تتراوح  
بين المفاجأة والتمتع والازعاج. وما أن انتهت من روايتها حتى قال:

«يا للهول! لماذا خفت أن تطلبي مني إعادتك إلى بونوا يجب أن  
تخبريني ما كانت روزا تفتح إليه بالفعل. وسأعاقبها إذا كانت  
مذنية».

أجابت ديانا متعجبة:

«لا، أرجوك، لا تفعل ذلك. لن أخبرك شيئاً إذا كنت تنوي أن تعاقبها.  
لم تكن لطيفة معي، لكن كانت لديها مبرراتها. لقد شوشتها في السهرة  
وهي لم تخرج بعد من توترها».

«أني معجب بإرادتك، يا ديانا. لكن إذا كنت مصرة على ألا  
تخبريني شيئاً، فسأضطر إلى أن أعاقب روزا. ألا ترين أن ذلك غير  
عادل؟ هيّا، قولي كل شيء».

شعرت ديانا أنه يغلب عليها بحجته هذه، فراجت تخبره كل ما  
قالت روزا خلال النزلة. وأحر وجهها عندما اضطرت إلى أن تشرح  
له ما قالت روزا. من أنه اختارها لتصبح عشيقته الجديدة. فابتسم  
في هذه وقال:

«إن الصورة التي ترسمينها عني ليست مديحاً. لا، لا، أرجوك، لا  
تعذري. إن ذلك يريحني أن أرى نفسي من خلال عينيك. ويمكنني  
القول إن فكرة روزا ذكية جداً. وذلك باستغلال سمعني السيئة  
تجاه النساء لتحصل منك على ما تريده. لكنها لم تكن تعرف مدى  
شجاعتك وعزمك. كما أنها لم تكن تعرف السبب الحقيقي الذي من  
أجله دعوتك للمجيء إلى المزرعة».

فسألت ديانا للحال:

«وما هو السبب؟»

«كنت أريد أن أصددها حين أجعلها تعرف إلى زوجة جايسون».



زوجته الشرعية التي لم يغيرها جايسون عنها. وكنت أمل بذلك ان  
ابرهن لها أن جايسون كذب عليها، بعدم اخباره الحقيقة. في  
الواقع، كنت أود ان اشوه صورة جايسون في عينيها، حتى تكف  
عن حبه.

« لكن لا أفهم. لقد شرحت لي بنفسك ماذا علي أن أفعل حتى  
يصبح زواج روزا من جايسون ممكناً.

أجابها وهو مقطب الحاجبين:

«متى قلت لك ذلك؟»

«عندما كنا نتناول القهوة في غرفة الاستقبال. قلت لي انه اذا تم  
الطلاق بيني وبين جايسون، فيصبح ممكناً زواج روزا منه.

«آه، صحيح، لقد تذكرت. لكنك لم تفهمي ما كنت أقصد. كنت اريد  
فقط معرفة ما اذا كنت تنوين الطلاق. كنت أريد معرفة حقيقة  
عواطفك تجاه زوجك. وكل ما فهمت هو انك تحببته. وفجأة، ومن دون  
ان أعرف السبب، خرجت وتوجهت الى غرفتك. قررت ان اتبعك حتى  
نتابع حديثنا. لكن قلت لنفسي ليس ثمة سبب للعجلة. يمكننا متابعة  
الحديث في الغد، بعد ان أعود من يوتو».

توقف عن الحديث منتظراً منها ان تحببه. لكن ديانا شعرت  
بحيرة تجاه موقفه غير المنتظر. ولم تعرف ما تقوله. فتابع لويس  
حديثه قائلاً:

«لقد ارتكبت غلطة واحدة اني نسيت اعتبار غير فتاة شابة ذات مزاج  
حار. أعني بذلك روزا. كانت ردة فعلها عنيفة، وبالتالي كانت ردة  
فعلك انت عنيفة أيضاً. اني الآن أتصور ما حدث بينكما، مثل هرتين  
غاضبتين! وانتي نادم لأنني لم أكن موجوداً لأرى ذلك المشهد. لا بد

انه كان مشهداً رائعاً».

كانت وقاحته تثير في ديانا ثورة خافية وشعرت بعدم قدرتها على  
الرد عليه. لكنها ادركت ان شرحه لا يشوبه أي خطأ. كيف اعتقدت  
انه دعاها الى المزرعة من أجل اغرائها؟

سألها لويس وهو يراقب عينيها الثابتتين:

«ألا تصدقينني؟»

«اره ان اصدقك، لكن ذلك صعب علي بعد الذي جرى في  
السيارة».

«نعم، بكل تأكيد... كيف أجيبك؟ نحن الأكوادوريون، شعب كريم  
وحار. هل تتفقين معي؟»

«نعم».

تابع لويس حديثه وهو يضع يده على قلبه:

«اننا نشعر بالاشياء بكل قواها. كما اننا نظهر عواطفنا أمام الآخرين.  
يا ديانا، كنت اعرف انك انسانة حزينة وتعيسة. لقد اخبرتني  
شقيقتي مشاكلك مع جايسون. وكنت أريد ان اهون عليك الأمور  
وأقوي عزيمتك. هذا كل شيء. هل تصدقينني الآن؟»

«اذا كان كل ما تقوله صحيحاً، فلا بد انك تصورتني انسانة ساذجة،  
بعد هذا الهروب الأخير».

«لا، لم أتصورك انسانة ساذجة، بل ربما انسانة متوترة. لكنك لا شك  
انسانة حساسة ومن السهل معرفة ذلك. قولي، هل كان جايسون  
موجوداً في الفندق لدى عودتك؟»

«نعم».

«أود ان أراه».

«هذا مستحيل، فقد رحل من جديد».

«بهذه السرعة؟ انه انسان غريب الأطوار! يا للأسف، علي ان اذهب الآن. هل بإمكانني ان أفعل شيئاً لك أولئك؟»

«لقد تركت حقيرتي في المزرعة. هل يمكنك ان تعيدها الي؟»

«بالطبع، سيهتم بذلك السائق نفسه. سيتعجب كثيراً عندما يعرف بأية طريقة عدت الى هونو. انه، ليس فقط سائق، بل مرافقي أيضاً، وارتكب غلطة مهنية كبيرة، اذ نسي ان يفتش السيارة قبل الرحيل».

صرخت ديانا:

«أمل ألا تعاقبه!»

«هذا رهن الظروف، اني أدفع له معاشاً من أجل ان يؤمن لي الطعامينة والأمن الشخصي. واذا وجدت عقابه عادلاً فقل اننا نأخر عن ذلك. الى اللقاء، يا ديانا».

وأجابته وقد ارتاحت لقراره بالانصراف:

«الى اللقاء، يا سيدي».

لم تكن ديانا متأكدة تماماً انه اخبرها الحقيقة. لكنها فهمت انه صارم، يجد لذة في تحريك الآخرين. وقد ارتكبت روزا غلطة كبرى، لأنها وقعت في غرام رجل، غير الرجل الذي اختاره لها والدها. ولذلك فلم يسامحها.

وراحت ديانا تقارن بين والدها ولويس. لاحظت فرقاً شاسعاً بين تصرفات الرجلين، وتبين لها ان والدها رجل متسامح لم يمنعها مرة من ان تفعل ما تريده. وعندما قررت ان تتزوج من جايسون، ساورته الشكوك لسرعة الأحداث المتتالية، لكنه وافق على هذا الزواج وباركه. والآن، على طريقته الخاصة، ومن دون ان يفرض رأيه، كان

يفعل كل ما في وسعه للحفاظ على هذا الزواج.

عادت ديانا الى المستشفى، كان والدها يتمشى داخل غرفته، ذهاباً وإياباً، يزن عضلاته التي أصبحت مترهلة بسبب بقائه مدة طويلة في السرير. وهذا يدل على ان صحته تحسنت، فلما رآها، قال متعجباً:

«ديانا لم أكن أنتظر مجيئك قبل ثمار الغدا».

«لقد... لقد عدت البارحة».

فضلت ألا تخبره عن هربها من المزرعة. ربما اعتبرها عملية وقحة وسوء تصرف من جانبها تجاه صاحب المزرعة. ثم تابعت تقول:

«اني سعيدة لرؤيتك تمشي، هل تشعر بتحسن؟»

أجابها مبتسماً:

«اني استعد للرحيل. سأعرض الى كشف طبي آخر في كيبكو وسأزور طبيبي لدى عودتي الى لندن. في امكاني الذهاب غداً، لكن لم أكن انتظر منك ان تعودني بهذه السرعة. ما جرى؟ ألم تعجبك اقامتك في المزرعة؟»

«كلا. ليس هذا بالطبع. كنت أريد رؤية جايسون».

«هل رأيته من جديد؟»

«نعم».

«حسناً. زارني بعد الظهر أمس. وقد حجز لي مقعداً في الطائرة للعودة. اني خدين له بالكثير بعد هذا الحادث. وشكرته على كل ما فعله من أجلي».

رمقها بنظرة وأكمل قائلاً:



«كان يبدو منزعجاً بسبب زيارتك للمزرعة لويس غيبارمو. الظاهر ان لويس يحب النساء، لهذا السبب تركت المزرعة بهذه السرعة؟»  
«انه أحد الأسباب».

«أفهم. هل سمحت لك الفرصة للتكلم مع جايسون؟ هل هناك امرأة أخرى؟»

«نعم... لقد... لقد اقترحت عليه الطلاق اذا اراد ان يتزوجها».

«وماذا كان جوابه؟»

«ان ذلك كرم من جانبي، و...»

توقفت ديانا فجأة وتذكرت ماذا جرى بعد ذلك.

«و... هل اقتنع بضرورة الطلاق؟»

«لا أعرف... لم يقل لي شيئاً. والآن ذهب من جديد. ألا تعرف الى أين ذهب؟»

«الى كينيو على ما أعتقد. عليه أن يقدم تقريراً حول طبقة النفط التي وجدها أخيراً. انه منهك جداً في هذه الفترة، يجب ألا تدهشي اذا بدا عليه الشرود، اذن، لم تقررا شيئاً في شأن الطلاق؟»  
«كلا».

«ومن هي تلك المرأة؟ أعرفيتها؟»

«اني... أعتقد انها روزا غيبارمو».

«لهذا السبب غادرت المزرعة، اليس كذلك؟»

«نعم، سبب من الأسباب».

«لكنك تقولين، انك تعتقدين ان تلك المرأة هي روزا غيبارمو. أنت متأكدة من ذلك؟»

«كل ما أعرفه هو ان هناك امرأة أخرى، وان روزا مغرمة به».

أجابها كريستوفر بهدوء:

«لا يعني ان جايسون مغرم بها».

«اعرف، لكن لا أرى من تكون تلك المرأة. قال لي جايسون انه

أمضى شهوراً عديدة يحاول نسيانها».

«لكن، لم يقل لك من تكون».

«لا».

«في هذه الأحوال، انك لا تعرفين شيئاً. انك تتخيلين فقط».

تنهد وأضاف:

«يبدو انك لم تصل الى نقطة عميقة في مناقشاتك معه».

«لكن جايسون يكتفي دائماً بالتلميح. لا يجب ان يتكلم عن نفسه».

«نعم. لاحظت ذلك. قولي، ألم يخطر لك ان تسأل نفسك اذا كانت المرأة التي يحاول جايسون ان ينساها منذ شهور عديدة، ربما تكون أنت؟»

«أنا؟»

«نعم، بالطبع، أنت، زوجته، المرأة التي تزوجها وهو يعرفها معرفة سطحية، والتي اساءت اليه مرتين...»

قالت وهي على وشك البكاء:

«لم أكن أريد ان أؤذي، لم أكن أعرف انه رجل حساس لهذه الدرجة».

«نعم. لا شك انه يخفي انفعالاته. لكن ألا تعرفين، يا ديانا، انك أذيت الرجل الذي تحبين والذي يحبك».

سألت ديانا في استغراب:

« النقل انه كان يحبك. والذي يشعر تجاهك اليوم، شيء آخر اني امل ان تنجح في الاتفاق معه، بطريقة او بأخرى، قبل عودتنا الى انكلترا، اي بعد أربعة أيام. »

قالت مستغربة:

« لكني لا أعرف اذا كنت سأراه حتى ذلك الوقت. لو أراد ان يراني، لكان قال لي أين ذهب، لو ترك لي رسالة، على الأقل. »

« ليس هذا ضرورياً، ربما لم يتسن له الوقت للكتابة. ربما لم يجد ورقة أو قلماً. هناك أساليب عدة بسيطة، يا جيبتي، واذا واصلت التفكير هكذا بالنسبة الى أمور تافهة، فلن تكوني سعيدة ابداً مع رجل مثل جايسون. يجب ان تعتادي ان تحبيه كما هو، وان تثقي به. انه يعرف انك ستصبحين في كيتو، بعد غد. ويعرف أيضاً اننا سنعود الى لندن بعد أربعة أيام. »

شكرت ديانا والدها بحرارة للنصائح الجيدة التي قدمها لها وودعته وتوجهت فوراً الى الفندق.

ولدى وصولها، فوجئت عندما علمت ان رسالة تنتظرها. وجاء فيها، انه اذا أرادا، يمكنهما، هي والدها، ان يسافرا في الغد الى كيتو أي من بعد غد. وان اماكنهما محجوزة في الطائرة. فرحت ديانا لهذا التغيير وعادت الى المستشفى لتطلع والدها على الخبر.

قال لها والدها:

« هذا التغيير سيبه جايسون، بكل تأكيد. بعد ان عرف انك عدت من المزرعة، فهم اني لم اعد ارجب في ان اضيع وقتي هنا في بونو. في صباح الغد، ودعت ديانا جيردا التي كانت متفعلة لدى

رؤيتها تغادر الفندق. وكانت المدينة الصغيرة مليئة بالغيوم، ورذاذ المطر يتساقط باستمرار، والطرق تشبه جداول صغيرة.

عندما أفلعت الطائرة، عرفت ديانا انها لن تنسى أبداً تلك المدينة الصغيرة على حافة الأدغال: بونو، وستبقى في ذاكرتها، الحرارة المرتفعة ونعيق الضفادع والمزروعات الخضراء، وصورة جايسون، عندما كان عشيقتها ذات ليلة عاصفة.

كانت الطائرة تحلق فوق وادي نهر نابو، ثم ترتفع لتتفوق سلسلة من الجبال. كان الهواء يخف شيئاً فشيئاً داخل الطائرة. وكانت ديانا ترى أمام عينيها نقاطاً سوداء تتراقص. ولعدة دقائق، كان من الصعب التنفس. ثم اتجهت الطائرة نزولاً صوب كيتو، حتى هبطت في المطار. وتبين لديانا ان والدها لم يتألم ابداً خلال الطيران، وتوجهوا نحو باحة المطار الصغيرة وبدأ قلب ديانا ينبض بسرعة كثيرة.

ربما يكون جايسون هناك في انتظارها. هذا يعني انه ما زال يحبها وان الطلاق لن يتم.

وبضحكتها الواسعة كانت ماريا سواريز في استقبالها، يرافقتها سانشو. راح الجميع يتبادلون القبلات. وحاولت ديانا اخفاء خيبة أملها وتصنع الابتسام. لكن شيئاً لم يدخلها كان قد تحطم، لأنها لم تجد جايسون في استقبالها كما توقعت وكما كانت تتشئ.



مستمرة. كانت تعرف ان انعدام حيويتها ناتج من تقلباتها العديدة في البلاد، ومن التغيرات المفاجئة في الارتفاع.

لكنها، في أعماقها، كانت تعرف ان السبب الحقيقي لهذا الازهاق ليس سوى غياب جايسون. انها تعرف جيداً ذلك الاحساس، لقد سبق وشعرت به من قبل. لكن، هذه المرة، كان شعورها اسوأ بكثير. التعب لم يخف ولا لحظة واحدة، حتى انه ازداد منذ هبوطها من الطائرة. عندما لاحظت غياب جايسون، الذي كانت تتوقع ان يكون في انتظارها في مطار كيتو.

كانت متأكدة انها لن تراه بعد الآن. وازداد تأكدها من سكوت ماريا وعدم طرحها اي سؤال حول جايسون. كأن الجميع بمن فيهم والدها بالذات، يحكيون مؤامرة صمت، أو كأن شيئاً يحدث سرّاً.

كانت ترغب في ان تسأل ماريا اذا كانت قد شهدت زوجها. لكنها كانت تخاف ان تعلم اشياء جديدة تزيد من عذابها. فهي لا تريد ان تستمر في العذاب بعد الآن.

فرحت لاقتراح ماريا القيام بهذه الجولة في مدينة اوتافالو وزيارة السوق هناك. اتاحت لها هذه المناسبة ان تتسلى وتلهو، اذ هي في حاجة الى ذلك أكثر من أي شيء آخر، في الوقت الحاضر.

قالت ديانا أخيراً لماريا:

«لقد أحببت الألوان والحركة، السراويل البيضاء ومعاطف البونشو المختلفة الألوان. ان النساء جميلات ومثاليات، حتى لو كن جالسات أرضاً، حافيات القدمين».

«نعم. ان هؤلاء الهنود ينتمون الى قبيلة الاينكاس. يملكون أراضيهم ومنازلهم. يزرعون الأرض باليات خشبية. يربون الحيوانات ويصنعون الخزف. انهم شعب صوهرت وفريد من نوعه».

## ٨ - الخروج من الحميم!

من بعيد، كانت المدينة تلمع تحت أشعة الشمس. وتبرز خضرة الجبال المحيطة. وكانت قمة اليركان المنتصب تشبه هرمًا بلورياً. والسيارة، التي تقل ديانا، تقرب من كيتو. وهكذا يشرف يومها الأخير في الأكوادور على الانتهاء، إلا اذا حدث شيء غريب - هذا ممكن في هذه البلاد الساحرة - غداً اذن، عليها ان تعود مع والدها الى انكلترا.

أطلقت ديانا زهرة عبقية من دون انتباه. فسألتها ماريا سواريز، الجالسة بقرعها وهي تربت على كتفها:

«هل أنت متعبة يا عزيزتي؟ انني لا أستغرب ان تكوني فعلاً متعبة. لقد استيقظنا جميعاً قبل الفجر. لكن هذا أمر له قيمته، أليس كذلك؟ حسب رأيي، ان سوق اوتافالو هي من أجل الأسواق في البلد وأكثرها تنوعاً في الألوان».

استأجرت ديانا وماريا سيارة مع سائقها للتوجه الى اوتافالو. وهي مدينة صغيرة تقع على بعد كيلومتراً شتالي كيتو. أجابتها ديانا:

«نعم. لا شك ان رؤية هذه السوق أمر ممتع».

وبالفعل كانت ديانا مسحورة بهذه السوق الهندية، لكن منذ وصولها الى كيتو، مساء أمس، وهي ما تزال تشعر بالتعب بصورة

وأضافت ديانا تقول:

«كما ان ضفاف البحيرة جميلة جداً. وما اسم البركان؟»

«تونغوراغا».

«أوثافالو مختلفة جداً عن بونو. رغم كونها ينتميان الى البلاد نفسها».

«هذه هي الأكوادور، بلاد صغيرة حيث الطقس يختلف من مكان الى آخر البرد القطبي والحرّ اللاهب في الأدغال، هل كانت زيارتك لمزرعة أخي لويس موفقة؟»

أجابت ديانا في اختصار خشية ان تزجج ماري:

«نعم».

«كيف وجدت روزا؟ انها فتاة رائعة، أليس كذلك؟ قريباً، ستتزوج ارتورو غوميز الذي يملك والده حقول الموز قرب غواياكيل. وسيكون زواجها حدثاً شعبياً هذه السنة».

«ارجو ان تكون سعيدة».

«انا متأكدة من ذلك. كانت في فترة ما مغرمة بجايسون، أو بالأحرى كانت تعتقد ذلك. اما جايسون فقد تصرف في شهامة وبرهن عن اصالته ورحل عندما عرف بذلك».

تنهدت ماري ثم أضافت:

«في مثل سنّها، لا يمكن ان تكون الأمور جديدة. سوف تنسى بسهولة متى يعود ارتورو. اني متأكدة تماماً من ذلك».

ألقت ديانا نظرة خاطفة الى صديقتها، التي كانت تبدو وكأنها قد تكلمت مع أخيها حديثاً. وفي ذلك الوقت، وصلت السيارة أمام أحد المنازل وتوقفت.

قالت ماري مبتسمة:

«فكرت انه يسرك ان تتعرفي الى صديقتي كارلوتا ديل بونتي. للأسف توفي زوجها منذ شهرين وتركها مع ولدين صغيرين. هل يزعجك لو قمنا بزيارة خاطفة لتلك الأمثلة؟»  
«أبداً، بالعكس».

بالنسبة الى ديانا، كل شيء جديد، يكون أفضل من العودة الى منزل آل سواريز وإلى المعاناة من جراء تفكيرها المستمر بجايسون.

كان المنزل يشبه منزل ماري. لكنه أصغر. ساحة في الوسط مزروعة بأشجار النخيل وأشجار الليمون وغيرها من الحمضيات. والجدران مطلية بالكلس الأبيض، فيها نوافذ ضيقة عديدة.

ظهرت كارلوتا ديل بونتي على عتبة الباب، امرأة جميلة، في الثلاثين من عمرها، ذات عينيّ حزينتين. استقبلت ماري بترحاب وعرفتها الى ابنتها ريتا وريجيئا.

في قاعة الاستقبال جلست النساء الثلاث يرتشفن الشاي ويتذكرن أوثافالو وبونو وزواج روزا وانكلترا. كارلوتا تتكلم الانكليزية بصعوبة وماريا، بطبيعتها المحيية ومزاجها الرفيع كانت تقوم بدور المترجمة.

بعد ذلك خرجت النساء الى الحديقة المليئة بالأزهار المختلفة الألوان. كانت الفتاتان ريتا وريجيئا تلعبان وتختبشان وراء الأشجار الضخمة. والعصافير التي تحلق بين الأغصان وترزق.

كانت ديانا تشعر باحساس جميل لوجودها في الحديقة وقتت لو أنه كان في وسعها ان تبقى هنا الى ما لا نهاية. لكن ماري كانت مصرة على ان ترحبها بقية المنزل.

فقالت لها:



«تعالى. سأخذك لأريك منزلي وما حوله. لكن، انت شاحبة يا عزيزتي، هل تعانين من دوار بسبب الارتفاع؟»

«ربما، لكن هذا لا يمنعني من رؤية ما تبقى من المنزل.»

في الطابق الاسفل، غرفة استقبال حيث تناولت الشاي، ثم غرفة الطعام ومطبخ مجهز. أما الطابق الأول فيتألف من أربع غرف للنوم وحمام وشرفات تطل على ساحة المنزل، ودرج لولبي يصل الطابق الأرضي بالطابق الأول.

قالت ماريا:

«مسكينة كارلوتا، انها حزينة وتعيسة منذ وفاة زوجها.»

سألته ديانا:

«كيف تولى؟»

«من جراء هزة أرضية.»

«هزة أرضية.»

«نعم. أحياناً تحصل هزات أرضية هنا، بعضها قوية والبعض الآخر عادية. زوجها يعمل لحساب الحكومة ولدى حدوث الارتجاج الأول، ذهب يتفقد أهمية الأضرار. ولما حدث الارتجاج الثاني، تهدم البناء الذي كان فيه. يا لفظاعة الحادث.»

فجأة اقتربت ديانا من إحدى النوافذ، حركة في ساحة المنزل لفتت نظرها. شاهدت رجلاً يدخل. كان شعره أشقر وكثفاء عريضتين ويرتدي بذلة زرقاء.

أسرعت الفتيات نحوه وتعلقتا بذراعيه وراحتا تقبلانه.

هل هذا الرجل هو جايسون نفسه؟ لا يمكن ان يكون هو بالذات، لماذا يأتي الى هنا؟ وكيف تعرفه هاتان الفتيات؟

ثم تذكرت انه أخبرها عن رغبته بشراء منزل ليستقر فيه، وأبلغها

حلته بانتجاب أولاد. هل كان يعني هذا المنزل بالذات لا مستحيل. قالت ماريا:

«ديانا تعالي، سننزل الى الطابق الأرضي، ويمكنك ان تصددي على الأريكة في الدار.»

«أؤكد لك اني في تمام الصحة والعافية. هذا المنزل رائع حقاً. اني أشكرك لأنك أتيت بي الى هنا لأراه. هل تريد كارلوتا ان تزوج من جديد؟»

«كلا. ليس في الوقت الحاضر، على الأقل. لم يمض على وفاة كارلو سوى شهرين. وما زالت تلبس ثياب الحداد.»

نزلتا الأدراج. وبين اصوات وضحكات الفتيات، سمعت صوت رجل يقترب. راح قلب ديانا ينبض بسرعة فائقة.

قالت ماريا بفرح:

«يبدو ان جايسون هنا.»

سألته ديانا:

«هل كنت تعرفين انه سيأتي الى هنا؟»

«قال لي انه سيحاول المجيء. ألم تكوني على معرفة بمجيئه؟»

«كلا. لم يقل لي شيئاً في هذا الشأن.»

قالت ماريا ضاحكة:

«الرجال يحبون ان يفاجئوا الآخرين وخاصة من يحبون. هذا دليل حب.»

تبعته ديانا ماريا الى قاعة الاستقبال وتوقفت حيال المنظر الذي ظهر أمامها، وما زال قلبها ينبض بسرعة. كان جايسون متربعاً على الأرض، والفتاتان قربه تطلعا على لعبة آلية. وكارلوتا جالسة على كرسي غير بعيد، تتأملهم مبتسمة.

ولما شاهد جايسون ديانا، نهض واقترب منها وخيل إليها  
انه سيقبلها ، فابتعدت قليلاً الى الوراء. توقف عن الابتسام وقال  
بنبرة مرتاحة:

«مرحباً. كيف وجدت المنزل؟»

أجابت ببرود:

«جميل وناعم، ماذا تفعل هنا؟»

«لقد فكرت انه المكان الأفضل لنتقني فيه ونقرر ما سنفعل».

قطب حاجبيه وظهرت على وجهه لمحة قلق:

«لكن لا يبدو أنك في صحة جيدة. يجب ان تتمددى. لا بد أنك ارهقت  
نفسك. اليوم».

جلست ديانا على الأريكة وشعرت بجايسون يرفع لها قدميها  
ويضعهما على الطاراريج. أغضت عينيها وشعرت بأن كل شيء يدور  
حولها. فتحت عينيها من جديد، لكن هذه المرة، كانت الغرفة تدور.

وبعد بضع دقائق، شعرت ديانا بتحسّن. وحاولت النهوض  
ورأت جايسون يدخل الغرفة حاملاً ابريق شاي وبعض الفناجين.  
« مازيا تطلب منك ان تشربي هذا، فتشعرين بتحسّن».

«ما هذا الذي سأشربه؟»

«نوع من الشاي، ضروري لتقويتك».

تناولت ديانا الفناجان واحتست جرعات صغيرة من هذا السائل  
الذي لا رائحة له. ثم تطلعت حولها. كارلوتا ومازيا كانتا قد  
اختفتا.

سأها جايسون وهو يسك يديها:

«هل تشعرين بتحسّن الآن؟»

وبصورة غريزية قامت ديانا بحركة الى الوراء، ثم أجابت:

«نعم، شكراً. جايسون، اين كنت؟ وماذا كنت تفعل؟»

أجابها جايسون بصبر غير مألوف:

«اليوم الذي غادرت فيه بوتو جئت فوراً الى هنا. والبارحة  
اضطرت الى الذهاب الى غواياكيل. ولم أعد من هناك إلا منذ  
ساعة تقريباً. مررت بالمكتب قبل أن أنضم اليك هنا».

ثم اضاف بعد فترة من الصمت:

«وأنا أيضاً متعب قليلاً. لكن الآن، أمامي ثلاثة اسابيع عطلة. نعم.  
ثلاثة اسابيع من دون عمل! اني لا اصدق ذلك».

سألته ديانا:

«لماذا لم تخبرني أنك أت الى كيتو عندما غادرت الفندق في بوتو؟»  
«كي أكون صريحاً معك، أقول اني نسيت ان اخبرك بذلك عندما كنا  
معاً. وفي الغد، كنت تغطين في سبات عميق ولم أجد الشجاعة  
لأوقظك».

«لكن لماذا لم تترك لي رسالة؟»

أجابها بنبرة قاسية:

«هل تعاتبيني الآن؟»

«آه، يا جايسون، لو أنك تعرف ما يكون شعوري عندما تذهب من  
دون ان تترك لي كلمة، كأن... كأن... ما حدث بيننا ليس له اية أهمية  
بالنسبة اليك».

أجابها بعنف مكبوت:

«أعتقد اني يفرحني، ان أكون مضطراً الى الذهاب».

«لكن، بالنسبة الى الرجال، ذلك يختلف...»

فقاطعها

«ولماذا هذا يختلف؟ ربما تعتقدين ان الرجل خال من أي عاطفة. وأنا



أيضاً، لا أحب لحظة الفراق.»

الفراق... هكذا أذن. لم يجد الشجاعة في ذلك اليوم أن يعلن ذلك لها مخافة أن تتعلق به.

لكن، ما دام الأمر كذلك، لماذا يجعلها تعذب بنفسه الآن؟ ألا يكفي ما عانت من عقاب؟ لماذا جاء بها إلى هذا المنزل حيث شعرت أنه يدخله وكأنه صاحب المنزل بالذات؟

نهضت ديانا فجأة وراحت تبحث عن حقيبة يدها. يجب عليها، مهما كلف الأمر، أن تجد ماريًا، ومغادرة هذا المنزل بأسرع ما يمكن، لأنها لم تعد تتحمل كل هذا العذاب.

سألتها بصوت حاسم:

«إلى أين أنت ذاهبة؟»

«أني أبحث عن ماريًا.»

«ذهبت.»

«صحيح، وكيف يمكنك أن أعود؟»

«سأوصلك إلى منزلها، إذا كنت مصرة على ذلك.»

«في كل حال، ليس لدي أي سبب لأبقى هنا.»

«ولماذا لا؟ اعتقدت أنك أحببت هذا المنزل.»

«صحيح، إنه منزل رائع، لكن لا يمكنك أن أبقى هنا، إن هذا المنزل

قلقه تلك المرأة...»

«أية امرأة؟»

«السينيورا كارلوتا ديبل بوتشي.»

«كلا، هذا المنزل ملكي، لقد اشتريته أمس.»

«قالت ديانا وقد فوجئت:

«أشتريته؟»

أجابها بنبرة فيها بعض السخرية:

«نعم، كان قرارى سريعاً، لأنني لم أكن وحدي مهتماً بذلك.»

«وأظن أنك مع البيت ستحافظ على المرأة والأولاد؟»

«قالت هذه العبارة بسرعة ووجدت نفسها بين ذراعي جايسون الذي كان يشد عليها بقوة. وعندما فهت ما يقصد، راحت تتخبط محاولة التخلص من قبضته، لكنه كان يسكها بشدة وراح يقول: «قلت لك مرة أنني لا أحب ضرب النساء، لكنك اليوم، تحطيت الحدود.»

«لا، يا جايسون، أرجوك، لا، أنا أسفة...»

لكنه ضربها لطمة قوية على مؤخرتها براحة كفه وأنبعها بأخرى. وكانت ديانا تشد على أسناتها كي لا تجيش باليكا.

أفرج عنها وسقطت أرضاً. سمعت جايسون ينهض ويتعبد. وفجأة شعرت أنه ربما يذهب ويتركها بصورة نهائية، فنهضت لتوها. لكنه كان ما زال قريباً، يرتشف من فتجان الشاي. شعرت ديانا فجأة برغبة في الهرب من هذا المنزل، فقط لتبرهن له أن ما فعله الآن بها لا يمكنها أن تقبله. لكن، في أعماقها، عرفت أنها لن تقوم بهذه الخطوة. لقد استحققت هذه الضربة. إنه على حق. لقد تحطت الحدود. ووعدت نفسها أنها لن تزعمه من الآن فصاعداً بغيرتها. لقد أخذت درساً قاسياً، الآن.

لكن، كيف تستطيع اقتناعه بأن غيرتها ليست سوى دليل حبها له؟

«قالت له بخجل:

«أنا... أنا أسفة حقاً، يا جايسون.»

أجابها بعنف:

«سبق ورددت هذا الكلام.»



«كل ما قلته هو لأنني أحبك كثيراً...»

قاطعها قايلاً:

«لديك طرق غريبة لتعبري عن حبك. منذ بضعة أيام اتهمتني أنني أريد أن أتزوج من روزا غيبارمو. واليوم، تعتقدين أنني أحب كارلوتا. ماذا تظنينني؟ هل تعتقدين أنني دون جوان مثل لويس غيبارمو؟»

«ضغ نفسك مكاني. تتركني في بونو من دون أن تقول لي إلى أين أنت ذاهب ومن دون أن أعرف إذا كنت سأراك، خاصة بعد أن اقترحت عليك الطلاق لكي تتمكن من الزواج من جديد.»

«كان عليك أن تنقي بي. كان عليك أن تعرفي أنني سأعود إليك.»  
«لكن كيف؟ لم تقدم لي أي برهان لأصدق أنك عائد.»

أجابها متعجباً:

«أي برهان؟ لكن هل نسيت تلك الليلة العاصفة التي امضيناها في الفندق؟ ألا يكفي هذا الدليل؟»

«لكنك سألتني ماذا أفعل إذا طلقتنني لتتزوج من روزا.»

«نعم، سألتك ماذا سوف تفعلين إذا... أردت فقط أن أعرف حقيقة شعورك. لم تجاوبيني أنت أيضاً عندما سألتك ما إذا كنت تريد الطلاق مني لكي تتزوجي بول. كنت تنهريين من الجواب. لماذا قلت لي أنك توافقين على الطلاق؟»

هست قاتلة:

«لأنني... لأنني أحبك. وكنت أعتقد أن ذلك ما كنت تريده وأنا أحب أن تكون سعيداً لتفعل ما تريد.»

«يا لها من فكرة حمقاء! من حسن حظي أنني لم أصدقك على الفور! في كل حال، عرفت في تلك الليلة العاصفة كل شيء.» وفهمت أنك ما زلت

تخبئني.

قالت ديانا باحمرار:

«هذا أمر غير عادل.»

«لا عدالة في الحب. أنني أحبك وأريدك أن تصبحي أما لأولادي. أنت بالذات ولا أحد سواك... لكن، ما بك؟»

راحت ديانا تبكي بصمت وفي الوقت نفسه كانت تبسم في سعادة ثم قالت بصوت مرتجف:

«لم تقل لي ذلك حتى الآن.»

«لم أقل لك ماذا؟»

«أنك تحبني.»

اقترب منها وداعب وجنتيها ليخفف دموعها.

«لا شك أنني لم أقل ذلك... إنها كلمة كثيراً ما تستعمل في غير مكانها. الكثيرون لفظوها من دون أن يقصدوا أي شيء يذكر. أما أنا، فقد قدمت لك البراهين العديدة. وأنت لم تلاحظي أبداً منها؟»  
«كلا، لكنني مستعدة لسألك.»

«أولاً، لقد تزوجتك. ثم كنت أعود إلى المنزل غالباً ما أمكن، وهذا كان يأخذ مني جهداً كبيراً في المجال المهني. وبالنسبة إلى رجل مثلي الذي ما أحب يوماً امرأة سواك، كان يعني أنني كنت أحبك.»  
«هل تعرف... أنني بدأت أفهمك عندما جاءت أونيس لتقول لي أنك رجل وقح...»

قال في نبرة استهزاء:

«قالت كل هذا لأنني خرجت معها، مرة أو مرتين. لكن أنت صدقت كلامها.»

«لكن يا جايسون لم أكن أعرف شيئاً عنك. علاقتنا كانت جسدية



بحثة. أرجوك حاول أن تفهمنى... لقد توصلت الى الاعتقاد انك تزوجتنى لأنها الطريقة الوحيدة التي يمكنك ان تحصل مني على كل ما كنت تريده».

«لا شك أنني استعجلت الأمور بالزواج. كنت خائفاً ان تفضلي بول علي. كنت متأكداً من أنه، عندما أضع في اصبعك محبس الزواج وعندما أحلف أمام الشهود انني سأظل أحبك مدى الحياة، بذلك ستبقين لي حتى الموت».

قالت له والدموع تنهمر من عينيها:

«لولم تذهب الى هيوستن في ذلك اليوم، لكان تسنى لنا الوقت ان نتحدث عن كل هذه الأمور».

«ربما. لكن ربما كنت ما زلت تحت تأثير اونيس. على كل حال، كنت مضطراً الى الذهاب الى هيوستن بسبب عملي. كنت أمل ان تهدأ الأمور وان يجعلنا الوقت أكثر وعياً للأمور. وحينئذ فهمت ان السبب الذي جعلنا غير متفقين أننا لم نغض معاً الوقت الكافي ليفهم بعضنا البعض الآخر. ومن ثم بدأت أبحث عن منزل اشتريه. وكنت أنوي بعدما أجد ذلك المنزل ان أكتب لك وأطلب منك اللحاق بي. انت تعرفين لماذا لم أكتب لك».

«لكن عندما سألتك عن الأمر، عندما كنا في بونو، لم تقل لي انك كنت تبحث عن منزل لي».

«كنت أحاول ان أنسى ذلك، كما كنت أحاول ان أنساك، أنت. لو لم يحدث لي هذا الحادث الأليم، ولو لم اشعر بضعف، ربما لم تؤلني رسالتك تلك بهذا الشكل القوي. لقد وصلت في أكره الأوقات. ولهذا السبب لم أحدث ماريا او روزا عنك. لم أكن أرغب في ان أحدث أحداً عنك».

قالت ديانا بتواضع:

«إنها غلطتي. كان علي أن أعرف ان رسالتي ستعذبك. لكن كنت دائماً قلقة عليك. لو كنت اعرف مكان وجودك، لما انتظرت ان تكتب لي، كنت جئت من دون ان أطلب موافقتك. لأنني كنت في حاجة ماسة لأن أكون معك. أه، يا جايسون، كنت أشاق اليك كثيراً».

أحاطها بذراعيه. وأسندت رأسها على كتفه العريضة وراحت تبكي. وكانت دموعها تتساقط على قميص جايسون.

قال لها بصوت مشجع:

«والآن، انتهينا من كل هذه الأمور الثقيلة. نحن معاً من جديد. عندما رأيتك في كيتو، يوم وصولك، عرفت ان كل شيء بدأ من جديد».

«ماذا؟»

«لقد وقعت في غرامك، مرة ثانية».

قالت له مازحة من خلال دموعها:

«كنت قاسياً معي، في ذلك اليوم».

«لم يكن ذلك سوى ردة فعل للدفاع عن النفس. كنت أخاف ان تؤذي من جديد. والآن، قولي يا ديانا، أيتها الانسانة الرائعة، لماذا كنت قاسية جداً معي؟»

«لأنني كنت أغار، فقط لا غير. انه شعور من الصعب التخلص منه وخاصة اني كنت سجيته».

قال جايسون معترفاً:

«وأنا كذلك، لقد عرفت معنى الغيرة وخاصة عندما علمت انك ذهبت الى مزرعة لويس غييارمو لتمضية بعض الوقت. ومن حظه أنه لم يرني والآن كانت الاشياء أخذت مجرى آخر».

«كيف امكنت التصور ان رجلاً في عمر والذي يمكنه ان يعجبني او



يغريني؟ لا شك أنك أحق!».

أجابها وهو يضحك:

«وأنت امرأة حمقاء اذ تصوّرت أن لي عشيقة في باريس، فقط لأنني ذهبت من دون أن أقول لك شيئاً عن هذه الرحلة».

«كيف يمكن أن يجذبني رجل مثل لويس غيبارمو، وأنا زوجتك».

«وأنت؟ كيف تصوّرت أنني أرغب بالزواج من روزا أو كارلوتا، وأنا زوجك؟ أنت فعلاً امرأة غيورة!»

«أيزعجك أن تراني غيورة إلى هذا الحد؟»

«كلا. ليس الآن. لأنني بدأت أعرفك أن ذلك يجعلك أكثر انسانية. لقد اعتقدت أنك انسانية مثالية، ولكن الآن وقد عرفت أنك أنت أيضاً تخطين، صرت أحبك أكثر».

انحنى فجأة وعانقها، وشعرت ديانا بسعادة لا مثيل لها وزال التوتر من داخلها.

سألها:

«هل تقبلين العيش معي هنا في كيتو؟ هل تريدان أنجاب أطفالاً؟»

قالت ديانا مازحة:

«لقد تعذبت من أجل أن تجد لنا منزلاً، ومن الصعب عليّ الرقص في كل حال، اني أفضل أن أكون معك، في أي مكان من العالم، بدلاً من البقاء في لندن، من دونك، حتى ولو اضطررت إلى أن تصفّعني وتضربني».

«هل أوجعتك ضربتي يا حبيبتي؟ دعيني أرى!»

همست ديانا بأذنيه:

«لقد، لقد أمتني، لكن في إمكانك أن تعالجني، إذا أردت ذلك».

«كيف؟»

«بأن تبرهن، يا جايسون، أنك تحبني، الآن».

«هل تعدينني بأن تثقي بي إذا اضطررت أحياناً إلى أن اتغيب عنك، أو أن أرحل بسرعة، أو إذا تأخرت أكثر مما كنت أتوقع؟»

«نعم. اني اعدك بذلك. لقد فهمت الآن كل شيء».

«وأنا كذلك، فهمت أشياء كثيرة. يجب عليّ أن أبذل جهدي حتى أتذكرك وأترك لك رسالة كلما اضطررت إلى الرحيل فجأة، وما عليك سوى أن تشتري كمية لا بأس بها من الأفلام والدفاتر الصغيرة وتضعي واحدة منها في كل غرفة و...»

لكن، هذه المرة، كانت ديانا هي التي جذبتة نحوها وعانقته مطولاً ثم قالت له:

«ماريا امرأة حكيمة وعاقلة».

«لماذا؟»

«لأنها قالت لي ذات يوم، أن أجمل شيء في الخصام هو عندما نتصالح. ولقد عشت هذه التجربة الآن. ومن دون شك اني اتفق معها على هذا. وأنت؟»

قال جايسون ضاحكاً:

«بالطبع. لكن من الأفضل ألا تنتظر ١٥ شهراً كي نتصالح. هل توافقين على ذلك؟»

«أجل. اني أحبك يا جايسون، اليوم وغداً وإلى الأبد».

«هل تدركين ما تقولينه؟ هل تلتزمين كلياً وبصورة نهائية؟»

«نعم. يا جايسون. انت تصدقني، أليس كذلك. أرجوك، قل لي أنك تصدقني».

«اني اصدقك، لأنني أنا أيضاً سأحبك دائماً، إلى الأبد. لقد عشنا في جحيم، مدة ١٥ شهراً، لكننا خرجنا من هذا الجحيم منتصرين».



وأضافت ديانا تقول:

«نعم. الآن، انتهى كل شيء. هيا بنا نعلم أبي بالأمر ونقول له اني لن  
أسافر معه غداً».

أجابها ضاحكاً:

«لا داعي لذلك. فقد أخبرتته بعد ظهر اليوم، قبل ان آتي الى هنا».

«هل كنت متأكداً من النتائج؟»

«لم أكن متأكداً إلا من شيء واحد: انه في وسعك ان تؤذي نفسي قدر  
الامكان، ومهما كان الأمر، قررت ألا أدعك تتخلين عن كونك زوجة  
لي. وهذه الفرصة، لن أسمح لك بها بعد الآن. هل تفهمين جيداً؟ حاولي  
ألا تنسي ذلك».

عانقها من جديد وفهمت ديانا ان السعادة تغمرها من جديد ولن  
تفارقها مدى الحياة.

  
[www.lilas.com/vb3](http://www.lilas.com/vb3)  
ريمل